العذراء في الأجبية

بقلم

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

الدراسات العليا واللاهوت والثقافة القبطية

وشئون الدير

الإنجيل

نيافة الحبر الجليل الأنبا غريغوريوس

العذراء فى الأجبية (١)

موضوع العذراء فى الأجبية موضوع كبير والكلام فيه كثير، يمكن أن يكتب فيه كتاب، إنما قبل أن نتكلم فى هذا الموضوع، وندخل فى تفصيلات جزئية يلزم أن نقدم بكلمة نشرح فيها:

وضع العذراء فى الكنيسة:

كلنا نعلم أن العذراء هى التى اختارها الله ليتّخذ من جسدها ومن لحمها ومن دمها جسد، يتحد به لاهوته، ويحتجب به هذا اللاهوت، لكن العذراء أولا وبالذات ليست امرأة عادية، واختيار المسيح لها كان بناء على صفات فى العذراء، تقربت بها وصارت بها بارزة على جميع نساء العالم، ليس عبثاً أن اختار الله لتدبير التجسد هذه العذراء بالذات، وهذه نظرتنا نحن فى الكنيسة الأرثوذكسية إلى العذراء مريم. ليست هى مجرد امرأة كسائر النساء، إنما امرأة قديسة أولا قبل أن تُختار لهذه المهمة، التى ما كان يصلح لها بين جميع نساء العالم غير العذراء مريم.

هذه التى رآها الوحى الإلهى مسبقا فقال «نساء كثيرات نلن فضلا أما أنت ففقت عليهن جميعا» هذا التفوق كان معلوما عند الله، ولذلك حينما ظهر لها الملاك غبريال أو جبرائيل حياها بتحية هى نفسها تعجبت لها.

---

(١) محاضرة ألقيت بكنيسة مارمينا بغليمنج بالأسكندرية فى ٢٧ من أغسطس ١٩٧٩م.

وقالت: ما عسى أن تكون هذه التحية وهذا السلام، ماذا قال الملاك؟ «سلام لك أيتها الممتلئة نعمة»، وهذا التعبير معناه أن هذا الاختيار رشحه أنها فتاة أو عذراء مشحونة بالنعمة، والكلمة اليونانية التى استخدمت والترجمة القبطية الدقيقة التى نقلتها. (ثى اثمه إن اهموت ⲑⲏⲉⲑⲙⲉⲥ ⲛ̀ⲥⲙⲟⲧ) تعنى أنها ملآنة، ملآنة، حتى الترجمة البيروتية الحالية المتداولة التى قالوا فيها «المنعم عليها» هى ترجمة غير دقيقة، لاتطابق الأصل اليونانى ولا الترجمة القبطية الأصلية، لكن معروف علي كل حال أن من ينعم عليه لا يكون إنسانا عاديا، فالملك ورئيس الجمهورية إذا أنعم على إنسان، فإنما ينعم عليه لأنه أدى خدمة للدولة، تميز بها وصار مستحقا لهذا الإنعام. لو كانت العذراء منعم عليها فهذا الإنعام يشهد أيضا بفضيلتها.

ولقد رآها النبى فقال «كل مجد إبنة الملك من داخل»، ليس مجد مريم يرجع إلى نسبها ولا إلى انتمائها لعائلة غنية، فقد كانت فقيرة، لاشئ يرجع إلى خارج، وإنما مجدها من داخل، وهذه شهادة على أن مريم قبل أن تختار لتكون أماً لله ووالدة له رشحتها الفضيلة، فضيلتها رشحتها لأن تأخذ هذا الإنعام وهذه الكرامة، وحتى فى تسبيحتها عندما قالت «لأنه نظر إلى إتضاع أمته» لا يفهم من كلمة إتضاع أمته أنها تشير هنا إلى فضيلة الإتضاع التى فيها.. لا، اتضاع أمته هنا تشير إلى أنها امرأة تحس بأنها فقيرة وأنها صغيرة وأنها حقيرة، هنا الإتضاع بهذا المعنى.

فالعذراء لا تفتخر بطبيعتها من جهة الفضيلة، إنما تشهد بواقع الأمر أن الله نظر إليها وهى صغيرة ضعيفة حقيرة، لا مركز لها بين الأغنياء الأقوياء العظماء، فرفعها من حالتها الوضيعة وأعطاها هذه الكرامة التى بها ستطوبها كل الأجيال، وقد طوبتها. أريد أن نعطى انتباهنا لهذه النقطة، هذه هى نظرة الكنيسة الأرثوذكسية إلى العذراء، أنها ليست مجرد امرأة كان يمكن أن تكون أى امرأة أخرى بديلا عنها!! حاشا.. فليست هناك امرأة بدرجة الفضيلة والنعمة والروحانية والتقوى والطهارة ونقاء القلب والسيرة بالدرجة التى كانت عليها مريم. وهذا هو السبب فى اختيارها وليس العكس صحيح، مثلماكان يقول البروتستانت من قبل ولكن أوقفوا هذه النغمة، ولو أن بعض الناس عادوا من جديد إلى هذه النغمة الحقيرة التى احتقرها البروتستانت أنفسهم اليوم، هناك أشخاص يحاولون أن يقولوا أن العذراء «إناء أطبخ فيه وبعد ذلك ترمى» حاشا.. حاشا.. إذا كانت السماء هى التى شهدت عن مجد مريم والملاك بصوت من السماء مدحها، لم يذكر واحد ممن طمس الشيطان عقولهم، يقول «أن المسيح لم يمدح العذراء. والإنجيل لم يذكر أن المسيح مدح مريم» باللغباوة...، والتحية التى جاء بها الملاك، جاء باسم من؟ وأليصابات التى نطقت بالروح القدس وقالت لها «من أين لى أن تأتى أم ربى إلىَ، فطوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب».

إذن كان فى مريم درجة عالية من الإيمان حسبتها لها أليصابات، ولم تجدها فى نفسها على الرغم من أنها عجوز، وعمرها على الأقل سبعة أضعاف

عمرمريم، كانت امرأة تزيد على ال ٩١ سنة، وكانت مريم فى حدود الـ ١٣ سنة فعلى الأقل سبعة أضعاف، أليصابات وجدت فى مريم الإيمان بدرجة لاتجدها فى نفسها فقالت طوبى للتى آمنت أن يتم لها ما قيل من قبل للرب، فإيمانها كان إيمانا متميزا بالقوة ومن أجل ذلك طوبتها أليصابات، هذا التطويب بالروح القدس الذى نطق على فمها، إذن كيف يقولون المسيح لم يمدح، يكفى أن يقول الكتاب المقدس «وكان خاضعا لها»، يكفى أن المسيح لم يكن يريد أن يعمل المعجزة ولكن عندما تقدمت إليه وقالت له «ليس لهم خمر»، لا يوجد كلام كثير، هى كلمة واحدة، فصنع المعجزة إكراما لمريم، وهذا هو شرف مريم أن أول معجزة صنعهايسوع المسيح فى بدء حياته الجهارية كانت من أجل طلب مريم، كيف يقولون لم يمدحها، إذن لماذا اختارها؟ هذه غباوة حينما يعمى قلب الإنسان.

المهم أريد أن أقول وضع مريم فى الكنيسة أنها والدة الإله، يقولون «والدة يسوع، وأم يسوع»، كأنهم كتابيين لكن من هو يسوع؟، يوحنا الرسول فى نهاية إنجيله يقول «وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع لم تكتب وإنما قد كتبت لكى تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله الحى» وعندما سأل المسيح تلاميذه وأنتم من تقولون؟ قال سمعان بطرس «أنت المسيح ابن الله الحى» إذن من هو يسوع هذا.؟ يكفى أنها أم يسوع، لكن من هو يسوع؟ هوالمسيح ابن الله الحى، الله ظهر فى الجسد، إذن هى والدة الإله، هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل، وعمانوئيل معناها الله معنا، فإذا ولدت عمانوئيل الله معنا

تكون والدة الله بالحقيقة، كما نقول فى المجمع «التى ولدت الله الكلمة بالحقيقة» المولود هوالله فتكون هى والدة الإله، إذن ما هى حكاية أم يسوع؟ هذا دليل على أن الذين يقولون هذا الكلام لايؤمنون بالمسيح إلا بالجسد، بالصورة الجسدية ليسوع، هؤلاء الناس إيمانهم بلاهوت المسيح مهزوز، لا يعرفون من هو المسيح، والرسول بولس يقول «نحن لا نعرف الآن المسيح حسب الجسد بل إلها مباركا إلى الأبد» إذن يسوع هو الله الظاهر فى الجسد فتكون هى والدة الإله.

انظروا كرامة واحدة تسمى والدة الإله، ما شكل هذه الكرامة؟ مهما قيل من ألفاظ ومن تعبيرات فى الكنيسة لتمجيد العذراء مريم كلها قليل، وإذا مدحنا مريم فإنما نمدح الفضيلة ذاتها لأن مريم كل قيمتها أنها امرأة فاضلة وامرأة طاهرة وامرأة نقية، لم ينسب إليها عيب أو دنس (ان ات ثوليف) ⲛⲁⲧⲟⲱⲗⲉⲃ بلا دنس، ما هو عِيب مريم؟ لا يوجد إلا الخطيئة الأصلية التى ورثتها، وهذا بحكم الطبيعة وبحكم أنها ولدت من رجل وامرأة، إنما ليس فى مريم خطيئة فعلية، نحن لا نقول أنها معصومة، لأنه إلى ملائكته ينسب حماقة، ونحن فى المجمع نذكرها أمام الله ونطلب من أجلها «هذا هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك فى إحياء ذكرى قديسيك، تفضل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء، أباءنا الأطهار رؤساء الأساقفة والأنبياء والرسل و الإنجيليين والشهداء وأرواح الصديقين الذين تكملوا فى الإيمان ، وبالأكثر القديسة الممتلئة نعمة العذراء دائمة البتولية التى ولدت لنا الله الكلمة

بالحقيقة»، نحن نصلى من أجل مريم فى المجمع لأننا نؤمن أن قداسة الله كاملة مطلقة، وأنه لا يوجد أحد يمكن أن يوصف بالكمال المطلق والقداسة المطلقة إلا الله القدوس وحده. «القدوس المولود منك» لكن مع هذا لسنا نعرف خطيئة لمريم، وشاء الله أن مريم التى ربتها أمها فى مخافة الله لمدة ثلاث سنوات، وبعد ذلك أدخلتها الهيكل نذيرة لله وعاشت فى الهيكل بين الصلوات والبخور وحضور الملائكة والقديسين ، لم يخدش حياءها ولم يخدش طهارتها كلمة سمعتها فى الشوارع، عاشت هناك فى الهيكل ولما بلغت السادسة من عمرها مات أبوها وفى الثامنة ماتت أمها وظلت إلى سن الثانية عشر من عمرها فى الهيكل، إلى أن رأى الكهنة أن تخرج من الهيكل حسب مقتضيات الشريعة، وبإرشاد من الله جمع الكهنة عصى الشيوخ و الشباب ووضعوها فى الهيكل، فالعصا المكتوب عليها اسم يوسف أفرخت كما أفرخت عصا هارون من قبل، فرأى الكهنة أنه الرجل الذى عينه الرب ليكون زوجا لمريم، فجمع رئيس الكهنة يوسف ومريم وربطهما برابطة وبركة الزواج المقدس، فصارت مريم زوجة رسمية ليوسف، وجاءت حمامة واستقرت على رأس يوسف، فكانت علامة جديدة على أنه الرجل الذى اختارته العناية الإلهية لهذا القصد، عاشت مريم إلى أن جاءها الملاك بالبشرى، كانت مريم طاهرة، وكانت مريم فى الهيكل بوجودها المبكر الروحانى تعطى طعامها للفقراء والمساكين وتبقى هى صائمة، طفلة تصوم، فكانت الملائكة تشفق على مريم وتأتيها بطعام سمائى، هذه مريم التى عاشت بهذه الطهارة وبهذا النقاء مصونة، مصونة

عيونها، وآذانها، وإحساساتها وحواسها مصونة طاهرة نقية، مجملة بالفضائل بأكبر ما تكون ابنة الملك، ولذلك رآها صاحب المزامير فقال «أن الملك قد اشتهى طهرك» الملك قد اشتهى، يا لهذه العبارة «اشتهى طهرك»، مريم شهية فى طهارتها، مشتهاة من الله، لذلك اختارها لأنها مشتهاة.

سموت يا بتول فى العذارى على كل الأمانى علا وفقت

خلقت درة لا عيب فيها كأنك مثل ما شئت خلقت

نحن محتاجين اليوم أن ندافع عن مريم !! يخرس كل لسان يتعدى على الملكة أم الملك، والدة الإله السماء الثانية التى حل فيها الرب جسديا، المركبة الكاروبيمية التى جلس الرب على ركبتيها، ولذلك الوضع المفضل دائما لمريم العذراء أن يجلس المسيح على ركبتيها «أنت الذى فى حجرك الملائكة تسبحه»، والوضع الآخر أن تحمل المسيح على ذراعها الأيسر كى تكون هى عن يمينه، «قامت الملكة عن يمينك» قامت الملكة نعم، الملكة أم الملك، من يقدر أن ينطق غير ذلك ، أى لسان يجرؤ، هذه إهانة للمسيح، من منكم يرضى عندما تكون مختلفاً مع أمك، وواحد يشتم أمك لا تقبل أبدا، وبذلك يكون شتمك انت، حتى لو كنت خارجاً من المنزل غضبان من أمك، لا تحتمل أبدا الإهانة لها..

وضع العذراء فى الكنيسة أنها فخر جنسنا. لأن منها دخل الابن إلى العالم،منها دخل المسيح إلى العالم، نعم هى باب السماء، حيث يكون المسيح

هناك سماء، لأن المسيح ملك فإذا حل المسيح فى بطن العذراء مريم، صارت السماء هى بطن العذراء بلا منازع، إلا إذا كان الذى يعترض لا يفهم من هو المسيح.

العذراء مريم تسمى المنارة لماذا؟ لإنها حاملة النور، من النور الحقيقى الذى يضئ لكل إنسان الآتى إلى العالم المسيح، إذن هى المنارة.

من هو القسط الذهب الذى كان فيه المن؟ هو العذراء وما هو المن؟ المن هو المن العقلى هو المسيح، آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا، هذا هو الخبز الذى نزل من السماء الذى يهب الحياة للعالم، المسيح هو المن العقلى، المن الروحانى، (إم بى مانا انوايتون ⲙⲡⲓⲙⲁ ⲁⲛⲟⲛ ⲛⲛⲟⲩⲟⲩⲧⲟⲛ) مثلما يقول الشمامسة فى التسبحة وفى مردات القداس بعد المزمورالمائة والخمسين، فالمسيح هو المن، إذن مريم هى قسط الذهب، نعم ذهب، أجود المعادن لأنها أجود إنسانة، لا يوجد شئ ثان ترمز لها إلا قسط الذهب حامل المن.

المجمرة، أنت المجمرةحاملة الجمر، وما هو الجمر؟ هو المسيح والجمر عبارةعن النار المتحدة بالفحم، اللاهوت المتحد بالناسوت، إذن هى المجمرة حاملة الجمر. وعنبرها، الرائحة الذكية هو المسيح أيضا.

كل هذه التشبيهات الموجودة فى الإصحاح التاسع من الرسالة إلى العبرانيين، والتى تجدون نظائرها مقتبسة فى الابصلمودية والتسبحة. كلها تبين مكانة مريم ومركزها.

وعندما نقول أنها فوق الساروفيم وفوق الكاروبيم، نعم لأنها نالت كرامة لم ينلها الساروفيم والكاروبيم، حقا أن الكاروبيم حملة العرش . لكن الكاروبيم ملائكة، مخلوقات من نور، إنما مريم إنسانة فى الجسد فكونها طاهرة نقية اشتهاها الملك لطهرها، على الرغم من الجسد، الترابى الذى يحتمل شهوات الأرض، لكنها ارتفعت إلى فوق بهذا كله صارت (إم بان أجيا) ΘΕΟΤΟΚΟΣ الكلية القداسة، جزيلة القداسة، نعم فى هذا أولا مريم فوق الكاروبيم وفوق الساروفيم، لأنها على الرغم من طبيعتها الجسدية استطاعت بمجاهداتها الروحية، وحياة القداسة التى عاشتها أمكنها أن تغالب الجسد وأن تنتصر على الشهوات والنزوات، فارتفعت بهذا من حيث فضيلتها فوق الكاروبيم والساروفيم، هذا فضلا عن مكانتها باعتبارها الملكة أم الملك، الكاروبيم تحت الله والله يجلس فوق الكاروبيم، «وأنت الجالس على الكاروبيم» لكن العذراء مريم احتوت المسيح ومن دمها ومن لحمها تكون جسده، يالغباوة هؤلاء،؟! جسد المسيح الذى به إلى الأبد والجالس على العرش مأخوذ من دم العذراء، فكيف لا تكون هى فوق الكاروبيم وفوق الساروفيم؟ هل إذا وضعت الكنيسة العذراء فى هذا الوضع يقال عنا أننا تجاوزنا أو بالغنا!! كل ما يقال عن مريم ومجد مريم قليل، ومن يهين مريم أهان المسيح، من يهيننا ويظن أنه يدافع عن المسيح هذا هو عمى القلب الذى يفتكر فى نفسه أنه هو عندما يدين مريم يدافع عن المسيح.. حاشا.. أى ابن يقبل أن أمه تهان، وأن تحسب تحية

مريم إهانة له، ياللعجب.. ومن الغباوة أيضا أن يحتجوا على أن نسمى العذراء مريم فى الكنيسة أمنا، ويقولوا هى أختنا.. أختنا أيها المؤدب، عمر العذراء اليوم ٢٠٠٠ سنة وحضرتك عمرك ٣٠ سنة وتقول اختنا أين الأدب؟ أين الأدب؟ .. عندما كنا طلبة فى الإكليريكية كنا نخدم فى حى اسمه وكالة البلح وهناك الجماعة الخمسينيين والبلموث يشتغلون هناك، وكنا نعمل اجتماعات فى جمعية قبطية هناك، ونلف على الناس وندعوهم لحضور الوعظ، فأتذكر هذا ولاأنساه، هذا الكلام لا يقل عن ٤٠ سنة اليوم، واحد بعدما انتهى الاجتماع وماشيين وفى الطريق قال أريد أن أسألك سؤالاً ، قلت له نعم، قال لى هو الأخ ابراهيم عندما ذبح الأخ اسحق كم كان عمر اسحق؟ فعندما قال لى الأخ ابراهيم تصورت الأخ ابراهيم هذا واحد من الإجتماع، فقلت له ياأخى الأخ ابراهيم؟! ابراهيم هذا عمره ٤٠٠٠ سنة وحضرتك كم سنة؟ لا يوجد أدب، إذا كان بولس الرسول يقول ابراهيم أبونا، أبونا، يا الله، لا.. زادت المسألة عن ذلك، واحد منهم طلبنا منه أن يصلى، قال أيها الأخ يسوع.. الأخ يسوع؟! الأخ، يا إلهى،وعندما نسأله لماذا هذا؟ يقول : المسيح قال لمريم المجدلية «إذهبى إلى إخوتى وقولى لهم» المسيح هو يقول إخوتى، لكن لا يوجد ولا واحد من الرسل جرؤ بتاتا على أن يقول الأخ يسوع مثل حضرتك، كل واحد من الرسل يقول «عبد يسوع المسيح وأسيره» بطرس الرسول، بولس كلهم. الكنيسة فى أى طقس من طقوسها أو صلاة من صلواتها، فى صلاة المعمودية أو فى أى حاجة إلا وتذكر المسيح ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا، ما هذا؟ ما

هذا الكبرياء والعنجهية، هذه لمسة شيطانية، هذا كفر بالمسيح وبمقامه الإلهى.

وبالتالى يكون من باب أولى من ناحية العذراء، لا أستطيع أن أفهم لماذا؟ هل هناك ثأر؟ لماذا الغباوة تصل إلى هذا الحد؟ لماذا يتكلمون عن العذراء بهذه اللهجة؟ لماذا ؟ هل هم بذلك يدافعون عن المسيح؟ مستحيل، وأنا أرى إخوتنا البروتستانت كلهم، النهاردة الرؤساء والزعماء بطلوا هذه النغمة القديمة، فنجد واحدا يطلع من جديد يجدد هذا الكلام، أعتقد أن إخوتنا البروتستانت اليوم لا يقبلون هذا الكلام.

هذا الكلام لابد منه لكى نفهم وضع مريم فى كنيستنا، لأننا عندنا نكرم مريم ونمدح مريم نمدح الفضيلة، مريم لم تأخذ وضعها فى الكنيسة الأرثوذكسية، فقط لأن المسيح ولد منها، أنا أريد أن أعكس. أريد أن أقول أن المسيح اختارها ليولد منها لأنها قديسة، ليس نحن الذين نقول هذا الكلام، السماء هى الشاهدة أن قداسة مريم سابقة على اختيار المسيح لها، بل هى التى رشحتها أن الله يختارها ويصطفيها، لذلك سموها مختارة ومصطفية، يوجد بنات يسمونها مصطفية، وقديسة وعفيفة ونقية وبرتينا وهى العذراوية أو البتولية، كل هذه ألقاب العذراء مريم، هذه مكانة مريم، هذه مكانتها طبقا للوضع الإلهى، نحن لا نبالغ، كنيستنا لا تبالغ، لا يوجد أى مبالغة، هذا كلام الكتاب المقدس، عندما نطوبها نقول «طوبى لها» نعم ونحن مصرون على «طوبى لها» وهى تعنى «مباركة أنت فى النساء» الملاك قال لها ذلك، «مباركة»، طوبى يعنى مباركة. ما أسعدك يا مريم ؟ ما أسعدك؟ نعم، أنت

مباركة فى النساء يعنى بين جميع النساء، فوق جميع النساء أنت مباركة، متميزة عن جميع النساء، الملاك نطق يعنى السماء نطقت، وأليصابات قالت لها «مباركة أنت فى النساء» قبل أن تقول «مباركة هى ثمرة بطنك» مباركة أنت، سعيدة أنت، وهى بالروح القدس قالت «منذ الآن جميع الأجيال تطوبنى» بعض الناس يكتبون ويقولون لا.. لا العذراء لاتطوب فى ذاتها، وكلمة تطوبنى. تطوبنى يعنى طوبى لها، فالطوبى للعذراء مريم شىء طبيعى، وأيضا رفعت امرأة صوتها من الجمع وقالت «طوبى للبطن الذى حملك وللثديين اللذين رضعتهما» ولكن الأغبياء روحيا يقولون أن المسيح رفض الطوبى لمريم عندما قال «طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه» وهل مريم لم تسمع كلام الله وتحفظه!! ما معنى هذا الكلام؟ لماذا هذه الغباوة، كلمة بل هذه الحقيقة عندما نرجع للنص الأصلى نجد معنى ذلك أن الطوبى لمريم ليس فقط لأنها حملت وولدت المسيح وإنما بالأولى لأنها حفظت كلام الله وهذا هو سر اختياره، إذن على عكس ماقصدوا إليه، المسيح دافع عن العذراء مريم وأبرز فضيلتها، ولم يرفض، ولكنه أبرز فضيلتها ووضح أن هذه الطوبى تلحق بها ليس فقط لأنها حبلت وولدت وأرضعت، بل هى اختيرت للحبل والإرضاع من أجل أنها حفظت كلام الله وعملت به.

العذراء فى صلاة باكر:

* فى قطعة صلاة باكر، القطعة الثالثة «**أنت أم النورالمكرمة، من مشارق الشمس إلى مغاربها يقدمون لك تمجيدات يا والدة الإله**

السماء الثانية، لأنك أنت هى الزهرة النيرة غير المتغيرة والأم الباقية عذراء، لأن الآب اختارك - القبطى افيوت - ،لأن الآب اختارك - والروح القدس ظللك والابن تنازل وتجسد منك فاسأليه أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه، وأن ينجيه من التجارب، ولنسبحه تسبيحا جديداً ونباركه الآن وكل أوان،

آنت هى أم النور: نعم للعذراء هى أم النور لأن المسيح هو النور وهى أمه إذن هى أم النور، **المكرمة:** مكرمة وبالقبطى (اتطايوت) ⲉⲧⲧⲁⲓϩⲟⲩⲧ، مكرمة مبجلة نعم.

من مشارق الشمس إلى مغاربها: كل إنسان فى الكون من مشارق الشمس إلى مغاربها يطوبها، كل إنسان يكرمها، المسيح قال لتلاميذه ،من أكرمكم يكرمنى، هذا بالنسبة للتلاميذ، أما العذراء فهى أمه وهى طبعا مكرمة فهل فى هذا مبالغة؟ أين هى هذه المبالغة.

يقدمون لك تمجيدات: وترجمتها بالقبطى (ذكصولوجية) ⲇⲟⲝⲟⲗⲟⲅⲓⲁ ماذا تعنى ذكصولوجية؟ يعنى كلام تحية. ذوكصا:مجد أو كرامة، ولوجية: كلام، فالتمجيدات هى كلمات المديح، ونحن نمدح العذراء لأن من يمدح العذراء يمدح الفضيلة نفسها. واحد من الآباء قال ،من يمدح أثناسيوس يمدح الفضيلة ذاتها، نحن عندما نمدح القديسين نمدح الفضيلة، لماذا نمدح القديسين ولماذا نكرمهم؟ لأن فيهم تتمثل الفضيلة، فالذى يمدح القديسين يمدح الفضيلة لأنها متمثلة فيهم، والذى يمدح مريم يمدح الفضيلة

نفسها نعم.. وهذا هو السبب الأساسى فى المسيحية لماذا نمدح القديسين؟ وكما قال يشوع ابن سيراخ «لنمدح الرجال النجباء، آباءنا الذين علمونا فالمدح للفضلاء حق من أجل الله ومن أجل الفضيلة التى تمثلت فيهم.

يا والدة الإله: وهى كما قلنا فى المقدمة هى بحق والدة الإله الذى ولد منها الله الكلمة، ومثلما نقول فى المجمع «التى ولدت لنا الله الكلمة بالحقيقة» إلا إذا كان أحد يشك أن المسيح هو الله، هذا موضوع آخر، وهنا تكون ليست مسألة مريم، مسألة إيمان مهزوز فى المسيح من هو؟، وهو محتاج أن يقرأ إنجيل يوحنا، ومحتاج أن يقرأ ما قاله سمعان بطرس والتلاميذ. أنت المسيح ابن الله الحى (مت ١٦: ١٨) (مرقس ١)، (لوقا ٩) إنجيل متى قال «أنت هو المسيح ابن الله الحى»، إنجيل مرقس قال «أنت المسيح الله» بحسب النص القبطى، انجيل لوقا قال «أنت المسيح» وطبعا لا يوجد تعارض بين الثلاثة متى ومرقس ولوقا، أنت المسيح الله ابن الله الحى، وهنا ابن لا لأن الله يلد كما يلد الإنسان والحيوان، حاشا.. الابن معناه صورة الله، الله غير منظور فصار منظورا، فهذا المنظور صورة الله غير المنظور، كما هو موجود فى (كولوسى ١: ١٥)، المسيح صورة الله غير المنظور، «الله لم يره أحد قط الابن الذى فى حضن الآب» الآب ليس له حضن ولكنها تعنى فى ذات الآب. فى شخص الآب، كما قال «الآب فى وأنا فيه» فالابن هنا ليس بمعنى الولادة كما تفهم فى عالم الإنسان أو عالم الحيوان، لكن بمعنى أنه الصورة المنظورة، الله وهو غير منظور صار منظورا فى المسيح. فأنت المسيح الله كما قال مرقس، «ابن الله

الحى، كما أوردها إنجيل متى.

السماء الثانية: وهذه شرحناها أنه حيثما يكون المسيح هناك سماء، المسيح فى السماء، والعذراء هى السماء الثانية طبعا. كل هذا كلام تستحقه مريم بل هذا هو وصف طبيعى لها.

أنت هى الزهرة النيرة: زهرة نيرة، يوجد زهرة تذبل لكن الزهرة النيرة هى التى تظل زهرة جميلة منورة لا تذبل، وهذا رمزا لبتوليتها الدائمة رغم الزواج الرسمى من يوسف، استمرت الزهرة البتول النيرة.

غير المتغيرة: التى لم تتغير بالزواج، لم تفقد بكارتها، لم تفقد بتوليتها، ظلت بكرا بتولا، هذه هى الزهرة النيرة غير المتغيرة، غير المتغيرة من هذه الزاوية، لم تتغير فى بكارتها، وفى بتوليتها، استمرت زهرة نيرة لم تذبل.

والأم الباقية عذراء: أم وعذراء وهذا هو العجب، فى كل تاريخ الإنسانية لم يحدث أن تكون واحدة أماً وتبقى عذراء، مستحيل، إلا العذراء مريم، ولذلك هى الباقية العذراء بالألف واللام، كل بنت غير متزوجة نسميها عذراء إلا مريم العذراء، كما أن المسيح واحد معرف بالألف واللام المسيح، المسيح لا يوجد غيره فى القديم كان الملوك والكهنة يسمونهم مسيح الرب، لكن المسيح، بالألف واللام هو واحد فقط.

فكل بنت غير متزوجة اسمها عذراء ، لكن مريم العذراء لأنها دائما عذراء. كانت ومازالت وإلى الأبد عذراء. العذراء دائما وكل حين (انسيو نيفين)

ΝCHOϒ NIßEN العذراء دائمة البتولية، دائمة البكارة، أم وعذراء، وهذا فى نفس الوقت إعلان عن الميلاد البتولى للمسيح، هذا فخر للمسيح لأنه كيف يخرج من بطن العذراء وتظل عذراء؟ مستحيل، بحسب قانون الطبيعة لم يحدث أن وُلد ابن وبعد ذلك ظلت أمه عذراء مستحيل، فهذا برهان على الميلاد البتولى وهذا أيضا برهان على لاهوت المسيح، لأنه لا يوجد أحد آخر يستطيع أن يعمل ذلك، لأن هذه قدرة، كيف يخرج والباب مغلق، هذا الباب كما قال حزقيال النبى فى الاصحاح الرابع والأربعين ،هذا الباب يكون مغلقا لا يخرج ولا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل خرج منه فيكون مغلقا، وجميع آباء الكنيسة تغنوا بما قاله حزقيال النبى كتطبيق على العذراء، أنها الوحيدة الواحدة التى بابها لم يفتح، الرب إله اسرائيل دخل منه وخرج وظل الباب مغلقا، وهذا هو السبب كما يقول آباء الكنيسة المسيح خرج من القبر والقبر مغلق، لا تفتكروا أن الملاك ميخائيل نزل دحرج الحجر عن باب القبر لكى يقوم المسيح، لا.. بتاتا، ولذلك هناك بعض الصور الخاطئة التى يرسمها بعض الفنانين نقلا عن الفن الغربى، يرسمون الملاك ماسكاً الحجر، حاشا.. المسيح قام قبل أن ينزل رئيس الملائكة ميخائيل . إنما الملاك ميخائيل نزل لكى يعلن أن القبر فارغ بعد أن قام المسيح، المسيح قام أولا ولذلك مريم المجدلية عندما ذهبت لطيباريوس قيصر بعد قيامة المسيح،وأرادت أن تشرح له كيف قام المسيح والقبر مغلق مما يدل على برهان لاهوته، أحضرت بيضة ملقحة حية كوسيلة إيضاح، وعندما تكون البيضة ملقحة يعنى أنه يوجد فيها

كائن حى بالداخل، وعندما تفقس البيضة، الجنين يخرج ويشق البيضة، وهذا هو السبب فى شم النسيم التقليد الموجود فى جميع أنحاء العالم وليس عند الأقباط فقط بل فى كل العالم، فكرة البيض الملون باللون الأحمر، هكذا كانت البداية، هناك ناس اليوم يلونون البيض أزرق وأصفر وألوان مختلفة، لا الأصل كان اللون الأحمر لأنه يشير إلى الخلاص وإلى الفداء وإلى عمل المسيح الكفارى، فصاحبة هذا التقليد الأصلى هى مريم المجدلية، عندما ذهبت لطيباريوس قيصر لتشرح له كيف قام المسيح و الأبواب مغلقة.

فالمسيح خرج من القبر والأبواب مغلقة ودخل إلى العلية والأبواب مغلقة، الآباء يقولون لكى يثبت أنه خرج من بطن العذراء وأبواب البكارة مصونة، «هذا هو الباب الذى دخل منه الرب فيكون مغلقا»، أنت العذراء التى بلا زواج، نعم عذراء وأم وستظل هذه معجزة الأجيال لا لمجد مريم فقط وإنما لمجد المسيح واثبات لاهوته أيضا. لأن هذا برهان لاهوته كيف خرج من بطنها وظلت الأبواب مغلقة إلا بقدرة لاهوته.

لأن الآب اختارك والروح القدس ظلك والابن تنازل وتجسد منك فاسأليه: اسأليه، نقول للعذراء اسأليه، ألا تطلب أنت من واحد وتقول له صلى من أجلى؟ إذن كيف لا نطلب من العذراء؟ كثير علينا أو هل هذا كثير على العذراء؟ ألم يسألها أهل العرس وذهبت وسألت المسيح وقالت «ليس لهم خمر» ومع أنه لم يكن يود عمل المعجزة، إنما عملها إكراما لها.

أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه وأن ينجيه من التجاريب:

نحن هنا لا ننكر أن الخلاص قد تم، لأن المسيح تمم الخلاص بالفداء، ولكن عندما نقول اسأليه أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه، المقصود أنها بصلواتها يطيل أناته على الخليقة البعيدةلكى يتاح لها فرصة أن تسمع كلمة الله و تؤمن بالمسيح، هذا معنى اسأليه أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه نحن لا ننكر أن الخلاص قد تم عندما مات المسيح على الصليب، لكن نطلب اسأليه أن يعطى الخلاص للعالم الذى خلقه، نقصد بهذا أننا نقول لها اطلبى أن الله يطيل أناته ولا ينزل غضبه على العالم غير المؤمن، ولكن يعطى له فرصة ثانية لكى تخرج كلمة الكرازة ويكون الخلاص لكل العالم.

العذراء فى صلاة الساعة الثالثة:

إذا انتقلنا إلى صلاة الساعة الثالثة نقرأ فى الفقرة الثالثة: «**يا والدة الإله أنت هى الكرمة الحقانية الحاملة عنقود الحياة، نسألك أيتها المملوءة نعمة مع الرسل من أجل خلاص نفوسنا، مبارك الرب إلهنا مبارك الرب يوما فيوما يهيئ طريقنا لأنه إله خلاصنا**».

يا والدة الإله: نحن نوجه الخطاب إلى العذراء مريم، وتوجيه الخطاب إلى العذراء مريم أمر طبيعى ومشروع، ولا يحسب هذا أنه يتعارض مع صلاتنا إلى الله، لأنه توجيه خطاب ونداء واستغاثة بالعذراء مريم وهذا أمر مشروع أيضا.

لأنه إذا كان الواحد ممكن أن ينادى أو يستغيث بإنسان، لأن فى قدرة هذا الإنسان أن يقدم عونا، فبالأحرى أن نتقدم إلى العذراء مريم نطلب معونتها، «يا والدة الإله» وهذا طبعا اللقب المشروع أن العذراء والدة الإله كما تكلمنا من قبل.

أنت هى الكرمة الحقانية: وهذا لا يتعارض مع النص الذى يقول فيه السيد المسيح «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» أو «أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام» كما قال أنه هو النور «أنا نور العالم» وقال لتلاميذه «أنتم نور العالم» لكن هنا بمعنى وهناك بمعنى آخر، هو النور الحقيقى، إنما الرسل فى ذواتهم أخذوا من النور فانعكس عليهم فأصبحوا أجساما منيرة، نحن نرى القمر ونقول القمر

منير، لكن كلنا نعلم أن القمر فى ذاته جسم معتم، إنما النور الذى فيه ليس منه إنما منعكس عليه من نور الشمس، الكواكب التى نراها لامعة جدا، الواقع إنها كواكب، والكواكب أجسام معتمة، نحن نراها منيرة لأن النور الذى فيها ليس منها وإنما من الشمس، فإذا كان سيدنا له المجد قال عن نفسه أنه النور، وتفضل وقال عن الآباء الرسل «أنتم نور العالم» فليس هناك تعارض على أساس أنه هو أعطاهم أن يكونوا أنوارا بالنور الذى منه وانعكس عليهم فأصبحوا أنوارا.

وقال عن المؤمنين «أنهم يضيئون كالشمس فى ملكوت أبيهم»، فإذا قلنا عن العذراء أنها الكرمة هذا لا يتعارض مع أن المسيح هو الكرمة، المسيح هو الكرمة الحقيقية، وأيضا هناك اعتبار آخر أن التشبيه مأخوذ من زاوية غير الزاوية المأخوذ بها تشبيه أن العذراء هى كرمة.

المسيح هو الكرمة الحقيقية على أساس أنه يتكلم عن العلاقة بيننا وبينه، فهو الكرمة ونحن أغصان فى الكرمة، هذه زاوية. لكن عندما نقول عن العذراء «أنت هى الكرمة» فبمعنى أنها حاملة العنقود، وعنقود الحياة هو المسيح فمن هذه الزاوية كرمة، لأنها حاملة عنقود الحياة وهو المسيح، فليس هناك أى تعارض لأن هذه زاوية، وهذه زاوية أخرى فى الموضوع.

أنت هى الكرمة **الحقانية** نسبة إلى الحق، لذلك لا يتعارض مع أن المسيح هو الكرمة الحقانية.

نسألك أيتها الممتلئة نعمة مع الرسل: (السؤال إليها وإلى الآباء الرسل) **من أجل خلاص نفوسنا:** ليس معنى هذا أن العذراء هى المخلص؟ حاشا، المخلص واحد أحد وليس غيره مخلص، إنما عندما نقول من أجل خلاص نفوسنا، بمعنى لئلا نفقد نحن الخلاص حينما ننحرف عن هذا الخلاص، فنحن نطلب معونة العذراء معنا، فى صلواتها عنا وأيضا الوسائط التى للعذراء فى معونتنا حتى نسير زمان غربتنا على الأرض بسلام وأمان، نحن فى حاجة إلى رعايتها وإلى اهتمامها بنا كأم ترعانا وتهتم بنا. وليس فى هذا بتاتا ما يتعارض مع إحساسنا بأن المسيح هو مركز الخلاص. فهنا الخلاص بمعنى الخلاص النهائى، لأنه بعد أن تحقق لنا الخلاص ممكن للإنسان كإنسان أن يفقد خلاصه، فإذا لم يثبت ولم يستمر ويحافظ على هذا الخلاص و يصونه ويبقى مراعيا له، فممكن للإنسان أن يفقد خلاصه، وعندنا فى سفر الرؤيا يقول «جاهد لئلا يأخذ أحد إكليلك» فممكن أن يفقد الإنسان خلاصه لو أنه تهاون، وهناك ناس ذكرهم بولس الرسول وقال كنت أذكرهم بفرح والآن أذكرهم بدموع لأنهم أصبحوا أعداء صليب المسيح.

فمن أجل أن يثبت لنا الخلاص ومن أجل أن يكون لنا الخلاص النهائى بالدخول إلى فردوس النعيم وإلى ملكوت السموات، فحتى لا نفقد هذا الخلاص نحن فى حاجة إلى معونة العذراء مريم وإلى صلواتها وإلى صلوات الآباء الرسل.

فى آخر قطعة من صلاة الساعة الثالثة نقول «**يا والدة الإله أنت هى**

باب السماء افتحى لنا باب الرحمة، أنت هى باب السماء، نعم هى باب السماء، أولا كما قلنا أنها الباب الذى دخل منه المسيح إلى عالمنا بالتجسد، وعن طريق العذراء مريم، لأنه اتّخذ منها الجسد الذى دخل به إلى العالم، فمن هنا هى باب السماء فساكن السماء عندما نزل إلى الأرض صارت العذراء نفسها وصارت أحشاء العذراء له سماء ثانية، لأنه استقر فيها ولأنه نزل إليها واتحد بالجسد المتكون منها ومن الروح القدس، وظل تسعة أشهر كاملة، وبعد ذلك دخل إلى العالم من هذا الباب. فهى باب السماء من هذه الوجهة، أيضا هى باب السماء من وجهة أخرى وهى أننا نؤمن بمكانتها وشفاعتها، وأنها تساندنا بصلواتها وبدالتها فنحن فى حاجة إلى هذه الصلوات حتى نظل محفوظين فى حياة النعمة، وعن هذا الطريق نعود إلى السماء وندخل السماء، فهى باب السماء أيضا من هذه الوجهة لحاجتنا إليها وإلى صلواتها وأدعيتها، وسنرى فيما بعد أن العذراء ليست مجرد إنسانة تصلى من أجلنا.

العذراء فى صلاة الساعة السادسة:

إذا انتقلنا إلى صلاة الساعة السادسة نقول: «**وإذ ليس لنا دالة ولا حجة ولا معذرة من أجل كثرة خطايانا، فنحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك يا والدة الإله العذراء، لأنه كثيرة هى شفاعتك قوية عند مخلصنا، أيتها الأم الطاهرة لا ترفضى الخطاة من شفاعتك عند الذى ولدته، لأنه رحيم وقادر على خلاصنا لأنه تألم من أجلنا لكى ينقذنا**».

ليس لنا دالة ولاحجة ولا معذرة من أجل كثرة خطايانا: هذا اعتراف بأخطائنا وهذا الاعتراف له نظائره فى صلوات القديسين، مثلا دانيال أو نحميا أو عزرا، كل عظماء الكتاب المقدس نرى فى صلواتهم الاعتراف بأنهم أساءوا وأخطأوا وأنهم بذواتهم يكونون مرفوضين إذا لم تتداركهم مراحم الله.

فنحن أيضا نعترف أمام الله بخطايانا وبتقصيراتنا، وأنه ليس لنا حجة يمكننا أن نعفى بها من العقاب الذى تستحقه خطايانا، ولا عذر لنا لأن الله بمراحمه أعطى لنا كل الإمكانات والإمكانيات، فلا عذر لنا فى خطايانا وهذا اعتراف صريح، نحن لا نبرر أنفسنا، إنما نعترف بخطايانا، فنحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك وهنا إحساس الإنسان بأنه وإن كان يصلى لكن صلاته نظرا لخطاياه مكروهة أمام الله، وهذا المعنى الذى قاله الكتاب «ذبيحة الأشرار مكرهة للرب أما صلاة المستقيمين فمرضاته» فنحن عندما نصلى، نصلى بهذه الروح التى فيها نعترف بأن صلواتنا ذاتها نظرا لأننا أشرار فهى مكروهة عند الرب، ولما كان الكتاب يقول «صلاة البار تقتدر كثيرا فى فعلها» فإذن نحن نستعين بصلوات العذراء مريم لأننا نشعر أن صلاتنا بسبب خطايانا غير مقبولة أمامه، لأننا أسأنا إليه وكما قال مرة لأرميا «لا تصلى من أجل هذا الشعب»، بمعنى أنه هناك حد معين تمتد فيه مراحم الرب إلى الإنسان، ولكن إذا تجاوز حدوده فى تعديه تصير صلاته مرفوضة وغير مقبولة، فهذا هو المعنى الذى نحن فى اعترافنا بخطايانا نحس به، أننا وإن كنا نصلى لكن

بسبب خطايانا نحن مرفوضون وصلواتنا غير مقبولة، من أجل هذا نستعين بصلوات العذراء مريم ونسألها أن تساندنا بصلواتها، وأن تسندنا فى موقفنا وأن تطلب لنا أن تمتد مراحم الرب إلينا فرصة أخرى جديدة، لعلنا نصحح الأخطاء ولعلنا نقبل فى مراحم الله.

نحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك ياوالدة الإله العذراء، كثيرة هى شفاعتك قوية ومقبولة: تقتدر كثيرا فى فعلها.

وهنا أود أن أقول أن التعبير الذى يستخدم عادة عن شفاعة العذراء مريم، يختلف فى التعبير الكنسى باللغة اليونانية والقبطية عن شفاعة القديسين الآخرين كالآباء الرسل وسائر الصديقين.

كنيستنا تخص شفاعة العذراء بتعبير «ابرسيفيا» πρεσβια وهذا التعبير لا تستعمله إلا بالنسبة للعذراء، وبالنسبة لسبعة رؤساء الملائكة، فى الهيتينيات نقول «هيتين نى ابرسيفيا» وبعد ذلك نقول «هيتين نى أفشى» ϩⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲉⲧⲭⲏ للقديسين مع العلم أن كلمة «أفشى» أيضا كلمة يونانية قبطية معناها صلاة، لكن لماذا اختصت الكنيسة العذراء مريم بهذا التعبير وقصرته على العذراء مريم وعلى سبعة رؤساء الملائكة الواقفين فى الحضرة الإلهية؟، هذه مسألة لها قيمتها ولها دلالتها، هذا مانود أن نقوله.

إن شفاعة العذراء مريم ليس فقط بمعنى صلواتها، لا ولكن بمعنى آخر مضاف إلى هذا المعنى، أن كلمة «ابرسيفيا» تفيد السفارة، تفيد فى معناها الإشتقاقى معنى كلمة سفارة ومعنى دالة ومكانة.

أى أننا نستعين ليس فقط بصلوات العذراء مريم، بل بحاجة أخرى وهى دالتها، والدالة مكانةثانية، والعذراء السفيرة ومكانة السفير الذى يمثل دولته بمعنى أنه هو الدولة التى يمثلها.

فالعذراء بالنسبة لنا فخر جنسنا، فهى سفيرتنا وهى أيضا باعتبارها والدة الإله لها هذه السفارة، لأنها أم ولأنها الملكة ملكة السماء والسمائيين.

إذن العذراء ليست مجرد إنسانة تصلى من أجلنا وتشفع فينا بهذا المعنى الذى نقوله عن الآباء الرسل، ونقوله عن القديسين الآخرين، لكن العذراء تتمتع فوق هذا كله بمكانة، ولها بهذه المكانة دالة وهى سفيرة، وسفيرة واحدة لا يوجد غيرها أحد أخذ هذا اللقب ويتمتع بهذه المكانة والكرامة، وأيضا كلمة «ابرسيفيا» تفيد معنى الكرامة. فليس هناك إنسانة أخرى فى مثل كرامتها، فى مثل دالتها، فى مثل موقفها كسفيرة، سفيرة عن جنسنا وسفيرة السماء لأنها أم الإله، هذا شئ ليس بقليل.

فحينما نتكلم عن شفاعة العذراء ونحن نستعين بها نؤمن بأن الشفاعة متميزة، ممتازة فوق كل أنواع الصلوات، ولذلك العذراء عندما تقدمت للمسيح فى عرس قانا الجليل لم تتكلم كثيرا، ولم تطلب من المسيح أن يعمل شيئاً، فقط قالت له «ليس لهم خمر»، لم تطلب منه شيئاً إنما هى جملة واحدة «ليس لهم

خمر، بدون كلام كثير وبدون ابتهال، هذه دالتها عنده، مجرد ما يرتفع نظرها إليه، مجرد ما يشعر أن لها طلباً أمامه، يكفى هذا ولذلك لاحظوا أنها ذهبت مباشرة بسبب نظرات عيونه إليها إلى الخدام وقالت لهم «كل ما يقوله لكم افعلوه» إذن فهمت أن دالتها قبلت مع العلم أنها لم تطلب شيئاً، ولم تتكلم كل الذى قالته «ليس لهم خمر» لكن فهمت من نظرات عيونه أنه استجاب.

وكلمة «مالى ولك ياامرأة» كما تكتب فى النص العربى، ليس لها فى اللغة الأصلية مالهذا الجفاف الذى يفهم أحيانا من الترجمة العربية، إنما هى كلمة رقيقة، كلمة فيها استجابة ضمنية يريد أن يشعرها بالأحرى أنه لم يكن يرغب فى عمل المعجزة لكن من أجلها سيستجيب، مثل أى واحد يقول لأمه أو لأى واحد عزيز عليه «وبعدين فيك» لكن ليس بمعنى لغة الجفاف ولكن بمعنى تعبير إذا صحبته نظرات العيون يفهم منه أن لهذا الشخص دالة وأنه بناء على هذه الدالة سيستجيب، وهذا ما حدث للعذراء مريم ولذلك لم تحتاج أن تكرر الكلام، بل ذهبت للخدام وقالت لهم «كل ما يقوله افعلوه» والمسيح طبعا حول الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل على الرغم من أنه لم يكن فى تدبيره أن يحول الماء إلى خمر وإنما إكراما لتدخل العذراء مريم.

نريد أن نقول أن شفاعة العذراء ليست بمعنى الصلوات، فنحن نقول «نسألك أذكرينا أيتها الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح ليغفر لنا خطايانا» أذكرينا هنا فيه معنى الصلاة، وفيه أيضا معنى أكثر من مجرد هذا، مجرد أن تذكر

أسماءنا أمامه حتى من دون أن تطلب، لكن لأن أسماءنا على فمها وفمها مكرم ولها دالة ومكانة وسفارة وكرامة.

أريد أن أقول أن مفهوم شفاعة القديسين فى الكنيسة القبطية لاتتعارض بتاتا بل هى شئ آخر يختلف عن شفاعة المسيح الكفارية، لكن حتى فى داخل هذه الشفاعة نميز بين شفاعة العذراء مريم وهى وحدها التى تلقب الكنيسة شفاعتها بأنها «ابريسيفيا» وتميز بينها وبين شفاعة الآخرين من القديسين حتى لو كانوا هم الآباء الرسل.

أنت هى الممتلئة نعمة يا والدة الإله العذراء: التعبير العربى يقول نسبحك لأن من قبل صليب ابنك انهار الجحيم وبطل الموت،أمواتا كنا فنهضنا واستحققنا الحياة الأبدية ونلنا نعيم الفردوس الأول:

الممتلئة نعمة: هذا التعبير هو الذى ورد على فم الملاك، يا والدة الإله العذراء، **نسبحك:**القبطى يقول (تين هوس ايروف) وعادة نستخدمه نقول نسبحك لكن بأى معنى نسبح العذراء؟، ماذا يعنى التسبيح؟ عندما نترجم كلمة سبح أو نحدد كلمة أخرى تقابلها وتفسر معناها نجد كلمة نغنى بحمدك أو نغنى بمدحك، حتى عندما نقول لربنا نسبحك معناها نغنى بمدحك أو نغنى بحمدك، لكن هناك فارق بين الواحد عندما يقول لله أسبحك يارب بمعنى أغنى بحمدك أو أغنى بمدحك وحينما نستخدم نفس التعبير بالنسبة للعذراء، بالنسبة لله نحن نسبح الله، ونغنى بمدحه فى نواحى كثيرة إنعامات وأفضال علىّ كإله وكسيد وكرب،ولكن هذا لا يتعارض مع تسبيحنا للعذراء أى نغنى بمدحها، ومدح القديسين مدح للفضيلة، وأى خطأ فى المدح؟ هل

هناك خطأ فى أن واحدا يمدح أحداً؟ هل هذا المدح يتعارض مع الله، لماذا؟ متى يكون هناك تعارض؟ عندما ينسب إلى البشر ما ينسب إلى الله، أما أن الواحد يشيد بمدح إنسان ويبين فضائله مثل ما يحدث فى جنازة واحد من الناس أو فى العزاء ونمدح هذا الإنسان ونبرز فضائله تحية له، وأيضا تعليما للناس كنموذج من ضمن النماذج التى تتحرك أمام البشر، فأى غضاضة فى هذا؟!! صحيح أن الكتاب المقدس يقول «لا تغبط أحدا قبل موته» ويقول «ليكن المدح لكل واحد من الله» ولكن بعد أن يموت الإنسان وينقل، خصوصا بعد انتقاله، إذا أظهر الإنسان فضائله أو مدح هذه الفضائل، فليس هناك أى تعارض بين هذا النوع من التسبيح بمحامد الإنسان وبين التسبيح بمحامد الله.

فكلمة نسبحك أو نغنى بحمدك هذه عبارة طبيعية سليمة ليس فيها بتاتا أى تعارض، بل بالعكس ابراز الفضيلة ممثلة فى العذراء مريم.

وعندما نقول من قبل صليب ابنك انهار الجحيم: انهبط الجحيم: يكون هذا بالنسبة إلى الصليب نفسه.

العذراء فى صلاة الغروب:

ننتقل بسرعة لصلاة الغروب لأن صلاة الساعة التاسعة سهلة.

«لكل اثم بحرص ونشاط فعلت، ولكل خطيئة بشوق واجتهاد ارتكبت، ولكل عذاب وحكم استوجبت، فهيئى لى أسباب التوبه أيتها السيدة العذراء، فإليك أتضرع وبك أستشفع وإياك أدعو أن

تساعدينى لئلا أخزى ،وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى، ولمؤامرة الأعداء اهزمى، ولأبواب الجحيم اغلقى، لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب للختن الحقيقى.

هيئى لى أسباب التوبة: تهيئة أسباب التوبة، يمكن واحد يسأل فى نفسه ويقول كيف أن الإنسان يصلى ويقول هيئى لى أسباب التوبة؟ أى هل الإنسان المداوم على الصلاة لم يصل إلى التوبة؟ فى مفهومنا المسيحى التوبة نوعان: توبة عامة شاملة عن الحياة بأسرها، وهذه يمارسها الإنسان عندما يكون فى حالة الخطيئة، أى غرقان فى الخطيئة ثم تمس النعمة قلبه فيتحرك فى اتجاه اللّه، يثوب إلى رشده، يرجع إلى الله، يعود إليه عقله، هذه هى التوبة العامة الشاملة.

لكن المسيحى السائر فى طريق السماء يلزمه ما يعرف بالتوبة اليومية، التوبة اليومية وهى مراجعة النفس فى كل يوم ومحاسبتها فيما أخطأت وفيما أصابت، هذه المحاكمة التى ينبغى أن تجرى فى حياة المؤمن كل يوم كعملية تنظيف مستمرة، عملية غسل مستمرة، عملية تطهير على قدم وساق، تسير يوميا، هذه حياة التوبة التى يحياها الناس الذين يسيرون فى طريق السماء

فكلمة هيئى لى أسباب التوبة، بمعنى أن الانسان فى بعض الأحيان حتى السائرون فى طريق السماء، يصيبهم نوع من الفتور نتيجة ربما أن الحياة تسير على وتيرة واحدة، هذه الحياة النمطية بعد فترة معينة ينتج عنها ما يسمى بالفتور فى الحياة الروحية، ويحتاج الإنسان من أجل تصحيح هذه الحياة النمطية، لكى تعود إليه بهجة خلاصه يحتاج إلى متغيرات، هذه المتغيرات

من شأنها أن تقرع على قلبه وتنخسه فى أعماقه وتلين تحجره، هذه الوسائط، وسائط تليين القلب، وسائط النخس واليقظة والإيقاظ والوعظ الذى تكلم عنه الرسول «عظوا أنفسكم كل يوم» وعظ النفس للنفس، تبكيت النفس للنفس، هذا هو ما يجب أن يكون فى حياة المؤمن باستمرار، والذى يحتاج إليه خوفا من الفتور الناتج عن الحياة النمطية، يحتاج إلى متغيرات من شأنها أن توقظ القلب وأن ترده إلى بهجة الخلاص.

فهنا ما نقوله للعذراء كأم هيئى لى أسباب التوبة، المقصود أسباب التوبة اليومية وهى القلب الحنون الرقيق الذى يبكى خطاياه، والذى يشعر بالرقة والحنان والحساسية، الحساسية الروحية القوية التى تجعله يحس ببشاعة الخطيئة، والتى تجعله يحس بحاجته إلى عمل النعمة فى القلب. هنا هيئى لى أسباب التوبة أى الوسائط، بصلواتك وأيضاً بدفعك قوة الشر المحيطة بى.

أيها الأخوة والأبناء لا تنسوا أننا فى حرب وأننا فى معركة، وأنا فى المعركة مهما كانت طاقتى وقدرتى فهى طاقة محدودة وتغيب عنى عشرات الأمور التى أجهلها، تصارعنى قوات خفية غير منظورة، لا تنس هذه الحرب الخفية الروحية المستورة، ولا تظن أنك إذا وقفت وحيدا فريدا تصارع لوحدك أن هذا بسالة منك وأن هذا نوع من أنواع التمسك الشديد بالله، وتنسى وسائط أخرى أنت فى حاجة إليها، وسائط من القوى الروحية الأخرى المصارعة التى لها القدرة على أن تحارب معك وعنك، قوى الملائكة وقوى الأرواح المقدسة.

من دون أن نستطرد كثيرا أريد أن ألفت نظرك لحاجة جاءت فى الكتاب المقدس لكى تشعر منها أن هناك حرباً لا تدرى بها أنت غفلان عنها، هذا فى

دانيال النبى، يقول دانيال النبى، أنه استمر ثلاثة أسابيع أيام صائما يصلى، وأذل نفسه بالمسوح والرماد مع أنه نبى عظيم، ولتعرف عظمته، ربنا قال عنه «إن وقف هؤلاء الرجال الثلاثة، وكان دانيال بين هؤلاء الثلاثة، النبى الذى شهدت عنه السماء بالقول «دانيال أيها الرجل المحبوب» هذا التعبير لم يرد فى الكتاب المقدس إلاّ عن النبى دانيال فقط. وفى العهد الجديد جاء عن يوحنا أنه الحبيب، إنما فى العهد القديم لم يرد عن أى واحد كلمة «المحبوب» إلا عن دانيال، أيها الرجل المحبوب، ثلاث مرات يأتى له هذا اللقب من فوق، قاله رئيس الملائكة غبريال أو جبرائيل المبشر، قال: «يا دانيال أيها الرجل المحبوب منذ اليوم الأول الذى فيه أذللت نفسك، وسمعت صلاتك وأنا أتيت لأجل صلاتك» متى جاء له؟ بعد ٢١ يوماً، رئيس ملائكة يقول له منذ اليوم الأول الذى أذللت فيه نفسك سمعت صلاتك وأنا أتيت لأجل صلاتك. إذن ما هو سبب التأخير ٢١ يوماً يا رئيس الملائكة؟ قال : رئيس مملكة فارس قاومنى ٢١ يوما، يا إلهى.. كلام مخيف ومرعب، رئيس ملائكة يقاومه رئيس مملكة فارس ٢١ يوما، إلى أن جاء ميخائيل الرئيس، وهنا ميخائيل + غبريال استطاعا أن يهزموا رئيس مملكة فارس، من هو رئيس مملكة فارس هذا؟ اذكروا أن ملاكاً واحد ضرب فى ليلة واحدة ١٨٥ ألف من جيش سنحاريب ملك أشور، ملاك واحد ولم يكن رئيس ملائكة. إذن رئيس الملائكة غبريال يقاومه رئيس مملكة فارس، إذن رئيس مملكة فارس لا يمكن أن يكون بشر، إنما هو الرئيس المعين من إبليس، رئيساً للمملكة، الشيطان منظم نفسه، مملكة، فيها غفر، وفيها عساكر، وفيها صاغات، ...إلى آخره، رتب كثيرة، فوق كل

ذلك رئيس الشياطين الذى هو رئيس هذا العالم، وبنفس الطريقة ربنا منظم أيضا الملائكة ويوزعهم. كل واحد فينا له ملاك، مثلما كل واحد فينا له شيطان، يقولون شيطان الأنبا بولا. لماذا الأنبا بولا؟ يعنى أنه شيطان قوى، لأنه لما يجدوا واحداً ناجحاً فى حياته الروحية، رئيس الشياطين يقول لشيطانه أنت لم تنجح، فيقيله ويعين له واحداً أقوى منه، لما تكون دولة مثلا صغيرة وحدث صراع مع أمريكا، غير محتاجة أمريكا أنها تطلع الآلات الحربية العظيمة، كفاية طيارة أو حاجة بسيطة، إنما لما تدخل مع روسيا طبعا تجيب آخر ما عندها، لأن هنا دولة كبيرة قوية. لذلك الذى جاء يحارب سيدنا له المجد، رئيس هذا العالم هو الذى حاربه على جبل التجربة إبليس نفسه، فتصور معى رئيس الملائكة غبريال جاء من السماء فصده الشيطان، فلا تكن مغروراً ومتكبراً، لو زعمت فى نفسك أنك أنت تقدر أن تدخل المعركة وتقدر أن تدخل مع قوات أكبر منك ستحرق بسرعة من أول ضربة، سهام الشرير الملتهبة ناراً، بولس الرسول يقول كنت أرغب فى الحضور أعاقنى الشيطان، يا سلام.. تصور بولس من عمالقة الروح يقول أعاقنى الشيطان، ومرة يقول أعطيت شوكة فى الجسد، ملاك الشر ليضربنى، بولس الرسول الذى يقول هذا الكلام، هل أنت عظيم، أنت روحانى، أنت كبير قوى، أنت تقدر تغلب كل شئ، يا للغرور، يا للكبرياء، أنت فى حاجة أن تعرف نفسك وتعرف أنك غلبان ومسكين لوحدك لا تقدر، لازم من قوات روحية تستعين بها، ولازم تعرف تماما أن الكتاب المقدس يقول عن الملائكة أنهم قوات مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص، ربنا يرسلها إليك فتقول لا...، أنا أقدر

لوحدى،هذه كبرياء؟ غرور عندما يكون واحد عسكرى عينته الحكومة للحراسة، ولو أنت فى طريقك جاء لك لص تصارع لوحدك وهو أقوى منك أو تستغيث بالعسكرى، تواضع يا أخى واستغث بالعسكرى، هو معين لهذا الأمر فاستفد، استفد من هذه الإمكانيات التى تعطيها لك الدولة، يقول ،إيه القديسين ، أترك ربنا وأمسك فى القديسين؟، إذا كان الله معينهم، معين الملائكة والقديسين، بعد أن نالوا الترقية تعينوا، ألم يقل لهم ،كنت أمينا فى القليل أقيمك على الكثير، فالذى كان يخدم على الأرض يخدم أكثر بعدما يخرج من الجسد، لا تتصوروا القديسين جالسين متكتفين، القديسون يملأون الدنيا حركة، يملأون الكون حركة وعملاً ونشاطاً، هم ليسوا أمواتاً، المسيح يقول ، ليس اللّه إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء، أحياء أحسن منى ومنك، أحياء نعم ويتمتعون بالحياة وبالقدرة لأنهم تركوا الجسد الذى كان يغلق عليهم وعلى أرواحهم، فأصبحوا أرواحا منتقلة مقدسة، حمام طائر لا يحتاج إلى زمن فى الانتقال ولا أكل ولا شرب، ولايحتاجوا إلى النوم، أبدا.. والمخ، الذى كان يحدث له تصلب شرايين والإنسان تضعف ذاكرته، الإنسان لا يحتاج إليه، لذلك المعرفة تمتد والقدرة على العمل وعلى النشاط تمتد. إذن القديسون هم قوى كيف أتركهم؟ هذه غباوة، غباوة، غباوة روحية أن أترك هذه القوات التى أعطاها لنا الله، ربنا خلقنا لكى نكون آلهة على الأرض، فهؤلاء القديسون تحولوا إلى طاقات روحية، إلى آلهة، آلهة صغيرة تحت الإله الأكبر، مفروض فيهم أن يعملوا وأن ينشطوا، مفروض بطبيعة الروح التى أودعها فيهم الله أن يتحركوا فكيف لا أستغلها.

فنحن عندما نستعين بالعذراء ونصرخ للعذراء هذا منطق طبيعى، لأنه لازم أعرف إنى أنا إنسان فى المعركة، وتوجد قوى روحية أنا لا أراها، أنا لا أستطيع أن أرى إلا أشياء بسيطة، مدى الرؤيا لى محدود والكون واسع، لكن الملائكة وأرواح القديسين بعد أن خرجوا من الجسد أصبحت لهم رؤيا أوسع آلاف المرات منى، بولس الرسول يقول الآن أعرف بعض المعرفة، ولكن حينئذ سأعرف كما عرفت، فكيف لا أستفيد من هؤلاء؟ تكون غباوة وكبرياء من الإنسان إذا لم أستفد من هذه الأرواح المقدسة وعلى قمتها وعلى رأسها الملائكة ورؤساء الملائكة، ووالدة الإله مريم فهى ليست إنسانة تصلى، ولكن لها دالة، ثم لها هيبة على قوات الشر، هى ملكة السماء والأرض فلها هيبة على القوات الروحية، مجرد ظهور العذراء مريم يطرد الأرواح الشريرة.

هيئى لى أسباب التوبة أيتها السيدة العذراء فإليك اتضرع:

الكلمة القبطية تفيد إياك أسأل، (تى تيهو ايرو ⲧⲧⲉⲟⲉⲣⲟ)

إليك أتضرع أو إياك أسأل وبك أستشفع باللغة القبطية (تى طفه آموا إن أو ابريسفيا (ⲧⲧⲱⲃⲉ ⲛⲁⲁⲟ ⲛⲟⲩⲛⲣⲉⲥⲃⲓⲁ) واستخدم كلمة ابريسفيا لأنه كما قلنا أن العذراء ليست مجرد إنسانة نرجو صلواتها، وصلواتها ذات فاعليات إنما فضلا عن هذا فالعذراء لها مكانة ولها كرامة، وهذا معنى ابريسفيا ولذلك الكنيسة اختصت العذراء بكلمة ابريسفيا ولم تستخدم هذا التعبير بالنسبة لأى من آباء الكنيسة حتى الرسل. ففى الهيتينات التى نستخدمها نقول «هيتين نى ابريسفيا انتى تى ثيئوطوكوس اثؤواب ماريا» (ⲉⲓⲧⲉⲛ ⲛⲓⲛⲣⲉⲥⲃⲓⲁⲍ ⲛⲧⲉ ⲧⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲟⲥ ⲉⲟⲩ ⲙⲁⲣⲓⲁ) ـ وبعد ذلك نقول: هيتين نى ابريسفيا انتى بى

شاشف إن أرشى انجليوس» ، بشفاعة سبعة رؤساء الملائكة، الحالتان الوحيدتان فى الهيتينيات اللتان نستخدم فيهما كلمة «ابريسفيا». فأولا تقال للعذراء وثانيا تقال لسبعة رؤساء الملائكة الواقفين أمام العرش، الذى قال عنهم سفر الرؤيا «سبعة الأرواح التى أمام عرشه» والذى من بينهم الملاك رافائيل الذى قال فى سفر طوبيا «أنا أحد السبعة الواقفين أمام الله» فهؤلاء السبعة رؤساء الملائكة الواقفون أمام الله نستخدم لهم كلمة «ابريسفيا» إنما بين البشر جميعا لا يوجد غير العذراء فقط التى نستخدم لها كلمة «ابريسفيا» وهذا التخصيص له معناه ودلالته فى أن للعذراء مكانة خاصة وكرامة خاصة، وقلنا أن كلمة «ابريسفيا» تفيد أيضا معنى السفارة، والسفير لدولته واحد، لا يوجد أكثر من سفير لدولته فى دولة أخرى، السفير واحد، فالعذراء تعتبر سفيرة لجنسنا أمام العرش الإلهى، الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح، وهى أيضا باعتبارها الملكة أم الملك، الملكة الوالدة باعتبارها رئيسة السمائيين والأرضيين، بهذه الصفة هى أيضا سفيرة للسماء، فهى تتمتع بهذه السفارة وهذه المكانة وهذه الكرامة التى لا يتمتع بها آخر، هذا هو السبب أننا دائما نستخدم فى طقوس صلواتنا هذا التعبير الخاص «ابريسفيا»

هيئى لى أسباب التوبة أيتها السيدة العذراء: قلنا أن التوبة لها معنيان التوبة العامة الشاملة لكل الحياة، حينما يكون الإنسان بعيدا كل البعد عن الله، ولكن للسائرين فى طريق السماء وطريق الفضيلة أن يمارسوا ما يعرف بالتوبة اليومية، وهى المراجعة الدائمة لأفكار الإنسان وأقواله وتصرفاته

أولا بأول، حتى يتطهر الإنسان منها، ويتوب عنها ويحاكم نفسه عليها وينال عنها التأديب المناسب حتى لا يعود إلى أخطائه مرة أخرى.

وفى بعض الأحيان يقول بعض الناس كيف نقول الست أو السيدة وهى عذراء فى نفس الوقت، كيف تكون عذراء ونقول سيدة: كلمة سيدة ليس معناها متزوجة، إنما السيدة هنا لفظ تكريم، مثل ما نقول السيد المسيح، فكلمة السيد هنا ليس لها دلالة على الزواج أو عدم الزواج، إنما هى للدلالة على الكرامة، وللعلم فى بعض الأحيان وفى بعض كتابات الكنيسة كلمة «الست السيدة العذراء» هنا كلمة الست كلمة غير عربية، كلمة قبطية، كلمة قبطية هيروغليفية، من الأدب المصرى القديم التى تقال عن الآلهة المحبوبة عند المصريين القدماء وهى «ايزيس». فالأقباط عندما انتقلوا إلى العهد المسيحى استخدموا هذا التعبير، أولا للسيدة العذراء، فقالوا الست السيدة، فالسيدة كلمة عربية لكن الست كلمة قبطية مأخوذة من أصول فرعونية هيروغليفية، فكلمة السيدة أو الست ليست كلمة للدلالة على الزواج أبدا، لكن كما قلنا أن السيد المسيح نقول عنه السيد لا معنى الزواج ولكن بمعنى الكرامة.

إياك أسأل أو أتضرع، بك أتشفع، إياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى ولمؤامرة الأعداء اهزمى ولأبواب الجحيم اغلقى لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب للختن الحقيقى: كون الإنسان يصلى ويطلب من أمه العذراء، لأنها أمنا جميعا التى سلمها المسيح إلى يوحنا وقال له خذ أمك، وفى يوحنا أعطانا المسيح العذراء أما لنا جميعا، فأى غضاضة فى أن يطلب الابن

من أمه أن تساعده، طلب المساعدة طلب مشروع فى عالم الإنسان، كل منا فى حاجة إلى آخر، فالواحد يطلب من هذا الآخر حينما يكون محتاجاً لشئ لا يجده فى نفسه فيطلب من هذا الآخر أن يساعده، أن يعينه، «المساعدة» فى اللغة العربية من الساعد، ساعده بمعنى أعطى له يده، أعطى له ذراعه، لكنه هو الأصيل فى الموضوع لابد أنه عندما يقع، لابد أن يحرك نفسه ليقوم، ولكنه قد يحتاج لمساعدة، إلى واحد يعطى له يده، لكن إن كان لا يرغب أن يقوم لا قيمة لهذه المساعدة، فمن الوجهة الروحية تعبيرات من هذا القبيل نطلب فيها المساعدة من الملائكة أو من القديسين لاتفهم بمعنى أننا نحن نلغى وجودنا، نلغى عزيمتنا، نلغى جهادنا أبدا، لا قيمة لهذه المساعدة ما لم يكن وضع الإنسان فيها هو الوضع الأصيل، فأنت أولا، أنت الذى تقوم، أنت الذى تنطق، أنت الذى تسعى للخلاص وتطلب الخلاص سواء أكان خلاصا من الخطيئة أو كان خلاصا من أى ضيقة أو أزمة، فأنت الأصيل لأنك أنت الذى تطلب وأنت صاحب الأمر، ولا يمكن أبدا أن يفرض عليك شئ بدون أن تكون لك الحرية بأن تبدى رأيك فيها، حتى مخلصنا له المجد لما ذهب للرجل المفلوج الذى له ٣٨ سنة ملقى على البركة، قال له «أتريد أن تبرأ؟» على الرغم من أن الحالة كانت واضحة والرجل ملقى على البركة فالمسألة ليست محتاجة لسؤال، لكن هذا السؤال كان لابد منه، ليعلن الإنسان بلسانه فضلا عن قلبه برغبته فى أن يقوم وأن يبرأ، لأن الشفاء لن يفرض على الإنسان مالم يطلب الإنسان الشفاء، حتى من الناحية الطبية لا يمكن لطبيب أبدا أن ينجح فى علاج إنسان لا يريد الشفاء، هناك أشخاص لا تريد الشفاء هذا صحيح، من

الناحية الطبية يوجد أشخاص لأسبَاب باطنية لا تريد أن تشفى، فمهما قدم الطبيب من وسائط العلاج لا تفلح هذه الوسائط أبدا فى أن تعالج هذا الإنسان علاجا حقيقيا.

فمن الناحية الروحية وحتى فى نواحى الحياة المختلفة، فمن الناحية العلمية التلميذ الذى يريد أ ن ينجح يذاكر إنما إذا كان هو لا يريد فحتى الصلاة لا تنفعه لأنه لا يريد. وكذلك مساعدة الأساتذة والمعلمين أو مساعدات الزملاء لا تفيده إلا إذا أراد هو أولا، فعندما نقول (ساعدينى)هذا ليس معناه إحالة الموضوع كله على العذراء لكى تصنع معنا كل شئ، وحتى مع الله، فالله أعطى للإنسان دوراً.

خلاص الإنسان أمر مشترك بين الله وبين الإنسان، الله له دور والإنسان له دور، إنما الخلاص دور الإنسان أولا، وهذا هو السبب لماذا ربنا خلص الإنسان ولم يخلص الشيطان، لأن الإنسان طلب الخلاص «لخلاصك انتظرت يا رب» هكذا قال يعقوب، إنما الشيطان لم يطلب الخلاص فلم يُعط له الخلاص، فهنا «أن تساعدينى» بمعنى اعطنى يدك، لكن فى نفس الوقت أنا شاعر بمسئوليتى فى هذا الخلاص، أنا عارف مسئوليتى أنها هى الأولى، لأنى سأحاسب أمام الله كإنسان، خلقت على صورته وعلى مثاله، إنما أنا أطلب من العذراء أنها تعطينى يدها، تساعدنى، وأى غضاضة فى هذا، إذا كنا ونحن على الأرض نحتاج مساعدة من زميل فى العمل أو فى البيت أو فى المصنع أو فى أى مكان نطلب «تعال ساعدنى»، اعطنى يدك،هل هذا يتعارض مع الصلاة إلى الله؟!! لا يتعارض.. لأن الإنسان له إمكانيات أن يساعد غيره بل

ومفروض فيه أن يستغل إمكانياته فى خدمة الآخرين، فهذا لا يتعارض بتاتا مع طلب الإنسان وسؤاله إلى الله، فعندما أسأل أخى ، أن يساعدنى هذا أمر مشروع، ومن جهة أخرى هو حق إنسانى، وهو واجب إنسانى على من يملك أن يعين غيره، واجب عليه أن يقدم العون للآخرين. هذه مسألة فى غاية الأهمية فى علاقتنا بالله وعلاقتنا بالملائكة والقديسين، إن أرواح القديسين أرواح موهوبة، وأرواح خلقت على الأرض على صورة الله ومثاله، وأنها لابد أن تكون عنصر خير وعنصر عمل ونشاط على غرار الله، كما أن الله صانع الخيرات كل إنسان منا مفروض فيه أن يكون صانع الخيرات، وعلى قدر ما ينتج من مواهبه ومن إمكاناته ومن إمكانياته على قدر ما يثبت أنه حقا ثقّل مواهبه وتاجر فى وزناته فيستحق عن هذه المتاجرة والربح الذى ربحه أجرا سمائيا. هذه النقطة فى غاية الأهمية فى نظرنا بعضنا لبعض، سواء أكان الأحياء زملاؤنا على الأرض، أو القديسون الذين عبروا إلى العالم الآخر، كل هؤلاء، هذه العائلة البشرية، يسر قلب الله أن يرى أفراد عائلته متعاونين يساعد الواحد منهم الآخر، ويقدم كل واحد العون الذى يمكنه أن يقدمه إلى آخرين، بل وأنه سوف يدان إذا لم يستثمر وزنته وموهبته وماله من إمكانيات أعطيت له ليتاجر بها ويعين غيره، سوف يدان عن هذا، فمن واجبه أن يعمل والله من السماء يرقب، يرقب أولاده ليرى هل يساعد الواحد منهم الآخر أم لا.

إذن إذا جاء واحد يقول عندما أستنجد بالعذراء مريم أترك ربنا، هذا كلام لا يُقبل ولا يقبله الله أبدا، فالله خلقنا لنعمل وخلقنا لنثمر، فمن العبث أن أظن أنى عندما أسأل الآخرين أن يساعدونى سواء كانوا على الأرض أم رحلوا إلى

العالم الآخر أن هذا يتعارض مع سؤالى لله، صدقنى أنا سأقول لك شيئا، لو العسكرى الذى بجوار بيتك استغثت به وقلت له الحقنى الحرامى... فلو قال.. لما أستأذن رئيس الجمهورية، هذا العسكرى لو علم به رئيس الجمهورية لضربه بالنار، لأنه أساء إلى صورة الدولة فى نظر المواطنين، ولأنه تجاهل أن رئيس الدولة أقامه وعينه فى هذا المكان من أجل أن يحرس، وأن يعمل ولا يحتاج بعد هذا إلى أن يستأذن رئيس الجمهورية، إذا استأذنه استحق الغضب واستحق أن يقتل لأنه لم يفهم لماذا أقيم، ليس فى كل أمر أسأل القديسين ليس هناك داع أبدا أن هذا القديس يستأذن الله، فيه مثل يقول: «الذى يعمل الخير لا يستشر»، ليس الملائكة ولا القديسون فى حاجة أن يستأذنوا الله ليصنعوا الخير فى الكون، هم مقامون ومرسلون للخدمة للعتيدين أن يرثوا الخلاص، فمن قبيل المروءة التى فيهم والفضيلة التى فيهم يتحركون من دون داع إلى إستئذان.

هذا هو المفهوم الذى ينبغى أن نفهمه فى علاقتنا بإخوتنا فى الأسرة البشرية، فى نطاق رب الأسرة الأعظم لأن الله عمل نظاماً وخلق كائنات، لماذا خلقها؟ لماذا أتجاهل أنا الوضع الإلهى الذى رتبه فى الكون؟ أقام وظائف وجعل هذه الوظائف لأشخاص مفروض فيهم أن يكونوا مستحقين للأمانة التى سلمت إليهم وإلا أنهم سيحاسبون وسيدانون.

فإذا أنا استغثت مباشرة بالملاك ميخائيل، أنا فى غير حاجة أن أسأل الله من أجل أن يرسل الملاك ميخائيل، لست فى حاجة إلى هذا، ولا الملاك ميخائيل فى حاجة إلى أن يستأذن الله، أبدا. لأن هؤلاء الملائكة مرسلون معينون للخدمة، والإنسان أيضا خلقه الله ليعمل ويدينه إذا لم يعمل.

فإذا نادانى إنسان وطلب معونتى أتحرك تلقائيا بالنخوة، بنخوة الحب والعمل والخير، إذا كان غرقان فى البحر وأنت تسير على شاطئ البحر واستغاث بك تقول له لما أصلى!! لأ.. إذا كنت تعرف أن تعوم فقد اكتسبت القدرة والقدرة أصلا من الله، فلك القدرة على أن تعين الآخرين، لست فى حاجة إلى أن تصلى من أجل هذا الأمر، تصلى من أن ينجح الله مهمتك، لكن لا تصلى تقول لربنا انزل البحر أو لا، لأ.. ولا تقول أستأذن رئيس الجمهورية لأ.. إن كان فى إمكانك وأنت موهوب وقادر على أن تنزل البحر لأنك متعلم فن السباحة فمباشرة لا تستشر لحما ولا دما، انزل لأن الله قد أعطاك هذا ،كل عطية صالحة كل موهبة تامة هى نازلة من فوق، هذه الغباوة التى أنا أشعر تماما بأنها موجودة فى قلوب بعض الناس، يقولون يقدر الملائكة أن يعملوا كذا، تقدر العذراء تعمل كذا، كما لو كانت العذراء محبوسة ومقيدة، ولا العذراء ولا القديسون، كل حاجة نجد اعتراضات وهذه أصولها بروتستانتية، تسربت إلى شعبنا، يقول يقدر القديس فلان يعمل كذا، القديسون موجودون فوق ولهم مقر هل يقدر يطلع بدون إذن ربنا؟، !! طالما أنت على الأرض لك بيت ومع ذلك تخرج من بيتك وترجع لبيتك مرة أخرى، فى إمكانك أو فى قدرتك أن تصنع هذا، فما بال الإنسان لما يكون فوق أكثر حرية، له مقر؟ نعم، إنما يتحرك، الشيطان محبوس بقيود أبدية تحت الظلام، لكن يطلع فوق لأن السلسلة المقيد بها طويلة مثل الكلب المربوط يقدر ينط على قدر سلسلته، ألم يقل المسيح ،إذا خرج الروح النجس من إنسان **يجول** فى أماكن، **يجول** فى أماكن يلتمس راحة فلا يجد، فيقول أرجع إلى مكانى الأول والرسول يعقوب

قال «إن إبليس خصمكم كأسد زائر **يجول** يتحرك فى الأرض» وفى سفر أيوب يقول عن الملائكة والقوات «مثلوا أمام الله فجاء الشيطان ومثل بينهم» أى استطاع أن يصعد، وسماه بولس الرسول « رئيس سلطان الهواء» أى قدر يطلع فى الهواء فوق، على الرغم من أنه مربوط، إذن القديسون الذين لهم مقر فوق ألا يقدرون أن يتحركوا على الأرض!!، هؤلاء جميعا يتحركون ، العذراء ومارجرجس وأبو سيفين كلهم ينزلون على الأرض وكل القديسين يتحركون، سواء تراهم أو لا تراهم إنما هناك أناس يستطيعون أن يروهم.

هذه النقطة مهمة جدا أريد أن تأخذوها بعين الاعتبار، هذا هو المفهوم العميق الروحانى المسيحى الذى يجعلنا نفهم نسبتنا فى هذا الوجود، ونسبتنا لهذه الكائنات الأخرى الموجودة سواء كانت ملائكة أو بشراً مثلنا، سواء كان هؤلاء بشراً أحياء معنا زملاءنا على الأرض، أو ترقوا وتخلصوا من أثقال هذا الجسد.

إياك أدعو أن تساعدينى، نعم، لأنى أنا محتاج لهذا، للا أخرى، ماذا، تعنى أخرى؟ تعنى بالقبطى (انطا اشتيم شيشنى ⲁⲛⲧⲁϫⲡⲉⲙ ⲥⲓⲥⲛⲉ) أى أصاب بالخزى نتيجة فشلى للا أفشل، غير قادر لوحدى فساعدينى، أى غضاضة فى هذا.

وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى: نعم احضرى عندى، أرواح القديسين تحضر ساعة الوفاة حسب مركز الشخص، العذراء جاءت تموت، المسيح بنفسه نزل ومعه الملائكة ورؤساء الملائكة ليتسلم روحها، وأعطاها لرئيس الملائكة ميخائيل هذه لأنها العذراء، المسيح بنفسه

جاء لكى يأخذها لمكانتها وكرامتها «ابريسفيا» والبشر أيضا الآخرين تحضر أرواح تصحبهم، ويوجد عندنا فى تاريخ الرهبنة أن الأنبا انطونيوس عندما ذهب يقابل الأنبا بولا، شاء أن تكون هذه المقابلة فى اليوم الأخير من حياة الأنبا بولا. وقال له اذهب واحضر لى الثوب الذى سأدفن فيه من عند القديس أثناسيوس ولما ذهب وهو عائد وقبل أن يصل وجد روح الأنبا بولا تحملها الملائكة وجمهور من أرواح القديسين فى موكب الأنبا بولا، وروحه محمولة مع الملائكة ولما وصل القلاية وجد الأنبا بولا راكعا ساجدا لكنه كان قد أسلم الروح.

هذه أمور كثيرة فى أدبنا القبطى وفى كتبنا، أنت عندما تكون مسافراً يوجد أناس يودعونك، ولما تصل محطة الوصول تجد أناس يستقبلونك، وبحسب مكانتك فى المجتمع يكون الذين يودعونك والذين يستقبلونك. نحن كذلك أيضا عندما نكون مسافرين لرحلة الأبدية فيه ناس ستحضر لاستقبالنا غير الملائكة، يقول عن أليعازر «حملته الملائكة» لكن فيه أرواح أخرى من القديسين ومن الأقرباء، وأقرباء بالروح أولا قبل أن يكونوا أقرباء بالجسد. الصداقة الروحية ألم يقل المسيح اصنعوا لكم أصدقاء فى المظال الأبدية حتى إذا فنيتم أو خرجتم من الجسد يقبلونكم فى المظال الأبدية، فالواحد على الأرض يكون له أصدقاء فى العالم الآخر، طبعا حسب مكانته «الطيور على أشكالها تقع» مركزك إيه وما هو نوع الأصدقاء الذين أنت كونتهم فوق؟ وهؤلاء يوم ما تخرج من هذا الجسد سيحضرون يأخذونك.

كان يوجد قديس فى دير المحرق اسمه القمص ميخائيل البحيرى، هذا القديس كان فى درجة السواح، اليوم الذى توفى فيه هذا الرجل كانت هناك مظاهرة روحانية فى دير المحرق، فيه كثير من الشيوخ الأفاضل والقديسين الذين كانوا أحياء، رأوا ملائكة ورأوا كائنات روحية تحلق فى كل الدير.

يوم الأنبا ابرآم أسقف الفيوم تنيح، الحكيمدار غير المسيحى رأى فى حلم الملائكة تقول (اكؤواب اكؤواب اكؤواب ⲁⲕⲟⲩⲁⲃ ⲁⲕⲟⲩⲁⲃ ⲁⲕⲟⲩⲁⲃ) وهو رجل غير مسيحى، لم يفهم كلمة اكؤواب ماذا تعنى فعندما استيقظ أخذ يسأل فقالوا اكؤواب عند المسيحيين تعنى قدوس فقال «لازم اسقف النصارى سيموت اليوم».

فالسماء تتحرك، واحد سيحضر عندهم يكونون مستعدين للقائه وتحضر فى موكبه الناس التى من طرازه، أصدقاؤه الذين كونهم، ولكن لو كان واحداً شريراً من الذى يحضر لمقابلته؟ الشياطين تطلع من تحت الأرض، هذا الكلام ليس من الخيال هذه حقائق إيمانية، من الذى يقابله فى اللحظات الأخيرة للوفاة؟ الشياطين طبعا، لأن المسيح قال أن «الشيطان رئيس هذا العالم» إذا كان بلغت من جرأته أنه كان يريد أن يستلم روح السيد المسيح، ولذلك المسيح قال: «رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىّ شئ، لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها» ليس للشيطان سلطان على روح المسيح، لكن هذا شئ طبيعى عندما تخرج روح واحد شرير من هذا العالم، من الذى يأتى لمقابلته؟ هل الملائكة؟ لأ..المسيح عندما مات الغنى لم يقل الملائكة حملته، أبدا، قال: فرفع عينيه فى مكان العذاب، وكلمة رفع معناها أنه كان تحت، فى هذا المكان، لأن

الجحيم طبقات، فالناس الذين كانوا فى الطبقة السفلى رفع عينيه فوجد ابراهيم، ابراهيم كان مازال فى الجحيم لأن المسيح لم يكن قد جاء بعد وتم الخلاص، إنما كان فى الطبقة العليا، فالغنى رفع عينيه فى مكان العذاب المستوى مستوى مختلف نهائى ولو أنهم كلهم كانوا فى الجحيم لأن الفردوس لم يكن فتح بعد، هذا الكلام الذى نقوله حقائق إيمانية، يوم أن يخرج واحد شرير من هذا العالم يحضروا لمقابلته لا الملائكة ولا القديسين تحضر لمقابلته، ولكن الأرواح الشريرة أصدقاءه الذين من نوعه يحضرون لمقابلته ويستلموه ويرحبون به فيتحول إلى عسكرى من عساكر الشيطان فى مملكة الشيطان.

إياك أدعو أن تساعدينى للا أخزى وعند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى: نعم. و أنا أعرف أن بعض الأشخاص فى اللحظات الأخيرة رأوا العذراء مريم على السرير جنبهم، هذا الكلام ليس كلام خيال هذه حقائق، احضرى عندى، نعم. عند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى، تعالى احضرى وفاتى اسندينى، «اعنا يا رب على سكرات الموت وما قبل الموت وما بعد الموت» ألا نصلى ذلك فى تحليل الكهنة فى نصف الليل. ما هى سكرات الموت وما قبل الموت وما بعد الموت؟ تعال ساعدينى، فى سكرات الموت، ساعدينى لماذا؟ لأن الشيطان فى اللحظات الأخيرة يريد أن يضربنى، يريد أن يصيبنى بآخر سهم، يحضر لى أفكاراً، يحضر لى صوراً، يحضر لى ذكريات ليتعلق بها قلبى فى اللحظة الأخيرة، يضربنى بسهامه، تعال احضرى عندى.

لأبواب الجحيم اغلقى : نعم، أغلقى أبواب الجحيم لأنك بهذا ستطردين الشيطان وتمنعين خروجه من أبواب الجحيم، نفس وجودك معايا يا أمى، وجودك فى اللحظات الأخيرة هيطرد الشيطان وينزله إلى تحت، تعلمون قصة اللجئون، اللجيئون هو فيلق، والفيلق فى ذلك الوقت كان ٦٠٠٠ شيطان أنظروا أدب الشيطان يقولون للمسيح «لا تأمرنا بأن ننزل إلى الجحيم، بل ائذن لنا أن ندخل فى قطيع الخنازير» وهنا كلمة الجحيم، فى اليونانية معناها العمق الذى ليس له قرار، وهذا يدل على مكانة المسيح الإلهية، الشياطين من رعبهم، يقولون له لا تأمر أن ننزل إلى العمق الذى ليس له قرار ولكن ائذن لنا فأذن لهم فدخلوا فى قطيع الخنازير.

فالعذراء بمكانتها وكرامتها حينما تظهر، نفس حضورها، وليس صلواتها فقط لكن نفس حضور العذراء، لمكانتها وكرامتها والنور والبهاء المشع من جسمها ومن روحها يطرد الظلمة، نعم، نعم الشمس لا يمكن أن تقف الظلمة أمامها، غير معقول، العذراء عندما تظهر لا يمكن أن قوات الظلمة تبقى، فأنا أطلب، أنا كمصلى أطلب «عند مفارقة نفسى من جسدى احضرى عندى» نعم، أنا محتاج لك لكى تساعدينى فى اللحظة الصعبة، التى فيها الشيطان سيحضر ليهاجمنى ويريد أن يصيبنى بسهامه لعله يقتنصنى بإرادته، تعالى ساعدينى خلصينى، نعم وأى غضاضه فى هذا، لأن فى إمكانية العذراء أن تعمل هذا، وفى استطاعتها وفى قدرتها الموهوبة لها من اللّه، وليس فى هذا أبدا تعارض

مع صلاتنا إلى الله، أن هذه إمكانات وإمكانيات فى الكون ينبغى أن يستغلها الإنسان لصالحه.

ولمؤامرة الأعداء اهزمى: والأعداء هم الشياطين.

ولأبواب الجحيم اغلقى لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب للختن الحقيقى: لئلا يبتلعونى، يأخذونى معهم، يغتصبونى، يقتنصونى لإرادتهم، ينزلوا بى تحت، اغلقى لئلا يبتلعوا نفسى يا عروس بلا عيب: عروس نعم عروس، عروس لأنها بغير زواج، وبلا عيب (إن ات ثوليف) ليس فيها عيب. كذلك جميلة يا مريم يا حمامتى يا كاملتى، ليس فيك شئ من العيب، للختن الحقيقى الذى هو العريس الحقيقى.

العذراء فى صلاة النوم:

أيتها العذراء مريم الطاهرة، لا يوجد من يشك أن مريم عذراء طاهرة!! **اسبلى ظلك السريع المعونة على عبدك:** اسمحى لى أن أدخل تحت سترك، لكى تحمينى من الأعداء لأن سترك شبيه بستر العلى بل هو ستر العلى، الستر الذى لك ستر العلى لأنه هو الذى أعطاك.

اسبلى ظلك السريع المعونة على عبدك، ابعدى أمواج الأفكار الردية عنى: كيف؟ ابعديها، ليس بصلاتك، اطرديها، بالأمر الصادر منك، لأنك أنت عندما تظهرين تهرب عنى الشياطين، يهربون لا يقدرون أن يثبتوا أمامك يا مريم ،ابعدى الأفكار الشريرة، لأن منها أفكاراً يحضرها الشيطان، صحيح أن هذه الأفكار لا تستقر فى الإنسان إلا إذا أرادها، مثل ما قال القديس

باخوميوس أب الشركة «أنت لا تستطيع أن تمنع الطيور من أن تحلق فوق رأسك، لكنك يمكنك أن تمنعها من أن تعشش فى شعر رأسك» معنى ذلك أن فيه أمواج أفكار ممكن يرسلها الشيطان، وفى قدرة الإنسان أن يطردها، ولكن بنفس القاعدة أنا محتاج إلى مساعدة العذراء مريم لكى تساعدنى فى طرد هذه الأفكار، وأمواج هذه الأفكار المقاتلة لى.

اسبلى ظلك السريع المعونةعلى عبدك ابعدى أمواج الأفكار الرديئة عنى انهضى نفسى المريضة للصلاة والسهر لأنها استغرقت فى ثبات عميق فإنك أم قادرة:أم قادرة (اس جور ⲉⲥⲭⲟⲣ) لو كان رجل بالقبطى يسموه قادر (اف جور) لكن المرأة «اس جور»،

أنت أم قادرة، كلمة قادرة هنا نفهمها بمعنى أن القدرة التى فى كل كائن حى طبعا هى من اللّه لأن الله هو الذى خلقنا وهو أبو الأرواح وهو القادر على كل شئ، ولكن لكل إنسان منا قدرة، هذه القدرة قد تكون محدودة وقد تزداد من واحد لآخر بعوامل مختلفة لكن هناك قدرات، هذه القدرات التى كانوا يسمونها فى علم النفس الملكات، ولكن غيروا هذا التعبير فأصبح اليوم القدرات لأسباب لا داعى لشرحها الآن.

فإذن الإنسان عنده قدرات، ومفهوم أن هذه القدرات من اللّه، ثم أن الإنسان ينمى هذه القدرات فتصبح إمكانات له يقدر أن يعمل بها، نحن خلقنا لنكون آلهة على الأرض مثل ما قال اكليمنضس الأسكندرى، آلهة صغيرة طبعا بمعنى أنه يكون لنا قدرةخلاقة، وليس خطأ أن نستخدم كلمة «خلاقة»

هنا لأن الله قال لآدم «املئوا الأرض واخضعوها وتسلطوا» انظر هذا التعبير الذى يعد أكبر تعبير يطعن الوجوديين فى الصميم، الذى يدل على أن الله أعطى الإنسان قدرات وقال لهم «املئوا الأرض واخضعوها» انظر كلمة «اخضعوها» يعنى إذا تمردت الأرض عليكم تقدروا تخضعوها ومن الذى يقول هذا الكلام؟ هو سيد الطبيعة، خالق الأرض يعطينا سلطان أن نخضع الأرض، يعنى إذا تمردت الأرض علينا نخضعها وهذا ما يحدث، الإنسان عندما يجد أرض صحراء يحولها إلى أرض خصبة، عندما تكون المياة مالحة يقدر بقوانين الطبيعة أن يحول الماء المالح إلى ماء عذب وهكذا، كل الذى تسمعونه عن الاختراعات والكشوف العلمية، الطيارات التى تطير لأعلى وسفن الفضاء، والبواخر التى تعبر المحيطات هذه قدرات، غير موضوع الراديو والتليفزيون وما إلى ذلك من اختراعات وفى كل فروع المعرفة الإنسانية، فيه قدرات، فالإنسان خلق هذه الأشياء طبعا بالقوة المودعة فيه وهى الروح الإنسانية التى هى على صورة الله ومثاله. فنحن عندما نقول فلان قادر هذا ليس معناه أننا أصبحنا ملحدين، أو أنكرنا القوة الإلهية، لأن القوة الإلهية هى التى بها يكون الإنسان قادر وهذه القدرة أخذها من الله

عندما نقول الأب أنجب ابنه، ما معنى أنجب؟ يعنى أوجده، فالأب منجب، لكن طبعا القدرة التى فيه أصلا من الله الكلى القدرة فكل قدرة يمكن أن تعمل.

انهضى نفسى المريضة للصلاة والسهر: بمعنى بوسائلك المختلفة ايقظينى، هل من الخطأ أن تقول ايقظينى؟ ليس خطأ أبدا تقول لواحد ايقظنى «عظوا أنفسكم كل يوم ما دام الوقت يدعى اليوم لئلا يتقسى أحد منكم بغرور الخطيئة»

نحن نقدر أن نوقظ أنفسنا بوعظ النفس للنفس، ولكن أيضا نوقظ بعضنا البعض، وإلا لماذا كان الوعظ؟ لماذا أنتم هنا اليوم، لماذا حضرتم؟ لماذا نحضر إلى الكنيسة؟ لأننا محتاجين إلى أحد يوعظنا لكى يوقظنا، هذا لا يتعارض أبدا مع الصلاة لله، بل بالعكس هذا ما صنعه الله. الله هو الذى شاء أن أناسا تعظ أناساً، الكبير يعطى خبرة للصغير، الكبير ينصح الصغير، فأوجد للكبير وظيفة أن يعلم، بل الملاك ظهر لكورنيليوس الرجل التقى العظيم الذى كان يصوم ويصلى، وقال له عندما ظهر له «صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارا أمام الله» ثم ماذا؟ قال له «اذهب لسمعان الملقب بطرس» اذهب للكنيسة، لماذا لا تكلمه أنت أيها الملاك.. يقول لا.. هذه ليست مهمتى، اذهب للكنيسة، اذهب لسمعان الملقب بطرس، لو أن كورنيليوس الذى ظهر له الملاك، والملاك كلمه وعرفه طريق الخلاص ماذا كان يصنع كورنيليوس، كان يدوس الكنيسة برجليه لأنه غير محتاج للكنيسة، كان فيه واحد فى المنصورة سار فى طريق السحر، فالشياطين أقنعوه أنهم رسموه قسيساً، فعمل ملابس كهنوتية وذهب الكنيسة ودخل على الهيكل «فكاهن الكنيسة استغرب، وقال له كيف تفعل ذلك؟ فقال له أنت رسمك المطران، أنا رسمنى رئيس الملائكة ميخائيل، فلو كان الملاك كلم

كورنيليوس كلمتين صغيرتين كان لا يحس بأهمية الكنيسة، مثل ما يقول البعض اليوم «مطران إيه وقسيس إيه وبطريرك إيه وشماس إيه.. ياأخى اجعل صلتك بالله مباشرة»، الله لا يقبل هذا الكلام، إذا كان المسيح بجلاله ظهر لشاول الذى هو بولس، و قال بولس للمسيح ماذا تريد يارب أن أعمل، قال له ادخل إلى المدينة وحينئذ يقال لك ماذا ينبغى أن تفعل. ثم يذهب المسيح بجلاله إلى حنانيا أحد الرسل السبعين ويقول له اذهب إلى شاول فى الزقاق الذى يقال له المستقيم، لماذا يا رب هذه اللفة كلها، لماذا كل هذا لماذا؟ وهذا الإنسان إناء مختار وأنت الذى ظهرت له فكمل الحكاية، يقول لأ.. أنا الآن رئيس الكنيسة غير المنظور لكنى أقمت عنى وكلاء.. أنا لا أريد أن ألغى دور الكنيسة حتى لا أتناقض مع نفسى، أنا الذى واضع النظام، كيف ألغى الكنيسة، أنا أقمتهم ليكونوا إمتداد لى على الأرض. وحملتهم هذه المسئولية، ومن لا يسمع للكنيسة فليكن كالوثنى والعشار، المسيح لم يقبل أن ينقض هذا، المسيح بجلاله وليس الملاك فقط الذى رفض أن ينقض هذا المبدأ وقال له اذهب وعندما ذهب كورنيليوس أول ما رأى بطرس الرسول سجد عند قدميه، لأنه شعر أن هذا الرجل عنده حاجة من الله لا توجد فيه، ولا توجد حتى فى الملاك، هذا هو النظام، ولذلك بولس الرسول بعد ما عمده حنانيا وقال له قم واعتمد واغسل خطاياك، ذهب لكى يعرض نفسه على المعتبرين فى الكنيسة أعمدة، فلما أعطوه يمين الشركة أصبح رسولا بوضع اليد، وضعوا اليد عليه،

لم يعفيه أبدا ظهور المسيح له، من وضع يد الكنيسة لأنها مؤتمنة وهم الذين أعطوه يمين الشركة بعد أن وضعوا اليد عليه. والكلام الذى قلناه هذا يكفى.

العذراء فى صلاة نصف الليل: الخدمة الأولى:

يا والدة الإله العذراء الحصن المنيع ابطلى مشورة المعاندين: المعاندين سواء أكانوا من الشياطين أو من البشر، المسيح قال «أعطيتكم السلطان أن تدوسوا الحيات والعقارب» وليس معنى ذلك الحيات والعقارب هى الثعابين من الحيوانات فقط. لأ.. مثل ما قال بولس الرسول «أنا فى أفسس حاربت وحوشا» فهناك بشر فى مرتبة الحيات والأفاعى، والمسيح قال ذلك، قال أيها الحيات أولاد الأفاعى، فالمعاندين لنا من الشياطين وأيضا من البشر، المسوقين من الشيطان ضدنا.

وحزن عبيدك ردية إلى فرح وحصنى مدينتنا: أنا قلت لكم على القمص ميخائيل البحيرى الذى كان فى دير المحرق الذى تنيح سنة ١٩٢٢، وكان هذا الرجل فى مرتبة السواح وكان أب اعتراف الدير كله بما فيه الأسقف رئيس الدير، ففيه رجل فى أسيوط كان فى غيظ من واحد يمكن من العمال.. فذهب لرجل ساحر وحب يعمل السحر على هذا الشخص الموجود فى الدير المحرق، فبدأ الساحر يشتغل، تعرفوا ماذا قال؟ قال له فيه واحد اسمه القمص ميخائيل البحيرى صلاته عاملة طوقاً من نار حول الدير. انظر التعبير، التعبير صلاته عاملة طوقاً من نار حول الدير. هذا الرجل الذى ذهب ليعمل السحر عندما سمع هذا الكلام جاء وطلب أن يدخل الدير ويترهبن.

صلوات القديسين مقتدرة كثيرا فى فطها، طوق من نار.

انتم تعلمون أيضا قصة القديسة العذراء يوستينا التى كانت سببا فى أنها جعلت كبريانوس الذى كان ساحرا أن يؤمن بالمسيح، هذه الفتاة كانت عذراء بحسب نظام العذارى الذى أنشأته العذراء مريم، فكانت من بيتها للكنيسة لبيتها، فكان يقابلها شاب أعجب بها وأراد أن يتزوجها، فأخذ يطارحها ألفاظ الغزل لعله ينال من قلبها، وأن يتزوجها، قالت له أنا عذراء للمسيح، فقال هذا الكلام أمام أصدقائه، فقالوا له فيه واحد اسمه كبريانوس هذا يستطيع أن يحضرها لك، فذهب إليه وقال له قصته وسأله هل تستطيع، فقال له كم كبير من عظائم أعماله وقدم له كشفاً طويلاً من إنجازاته، واتفق معه على مبلغ، وأعطى له نصفه مقدما وابتدأ يشتغل بأعمال السحر ويرسل الشياطين، قوات الظلمة لكى يلتفوا حول البنت ويلقوا لها بالأفكار فيتعلق قلبها بمحبة هذا الشاب فتوافق، بل على العكس هى التى تطلبه، فأرسل الشياطين وكانت الفتاة لا تكف عن الصلاة، الصلاة التى بلا انقطاع لأنها عذراء للمسيح، فلما ذهبت الشياطين على البيت وجدوا أن البنت محاطة بالملائكة فالملائكة طردت الشياطين فرجعوا صارخين لكبريانوس وقالوا له لم نستطع أن ندخل لها، فأمسك كتب السحر وقطعها وأصبح مسيحيا، هذه قصة فى القرن الثالث وكبريانوس هذا أصبح أسقفاً على قرطاجنة من أهم أساقفة القرن الثالث للميلاد. فالصلاة تعمل طوقاً من نار مثل ما قلنا وتحضر الملائكة وتشد القوات الروحانية حول الإنسان.

فما بالك بالعذراء مثل ما قلنا ليس فقط صلواتها ولكن حضورها ذاته له كرامته، هيبته، طهارته، النور المنبعث منها يطرد قوات الظلمة.

حزن عبيدك رديه إلى فرح وحصنى مدينتنا: اجعلى حولها حصون، حصون من نار

وعن ملوكنا حاربى: واحد. يقول كيف نقول عن ملوكنا حاربى، هل المسيحية تبيح الحرب؟ من قال ذلك، كلمة ملوكنا يعنى رؤسائنا حاربى عنهم، نحن لا نقر الحرب، ولكن هناك حرباً روحية، وقال الكتاب «إن محاربتنا ليست مع دم ولحم بل مع أجناد الشر الروحية فى السماويات قال «البسوا سلاح البر ودرع الإيمان وخوذة الخلاص» وهى كل أدوات المحارب وهذا بالمعانى الروحية، وعندما يدهن الكاهن الشخص بالميرون يقول: درع البر لأنه موهبة الروح القدس فتكون درعا حتى أن الواحد إذا أصابه سهم يرتد هذا السهم، ولذلك الناس تسأل هل السحر يقوى على المسيحيين، نقول إذا كانوا معمدين ومدهونين بالميرون بحسب ترتيب الكنيسة لا يمكن أبدا للسحر ولا للشيطان الغلبة عليهم أبدا، فالذى تسمعونه لابد أن يكون شئ حدث خطأ، فممكن أن يكون هذا الشخص لم يدهن بالميرون، وهذا ما يحدث فى بعض الأحيان، أن الواحد يقول لابد أن يعمد ابنه يوم أحد التناصير، والأعداد تكون كثيرة ٤٠٠، ٥٠٠، و ٤٠٠٠، و ٥٠٠٠ فيكون الكهنة مرهقين ويضعون الميرون فى ماء المعمودية ويعتبر أن هذا هو سر الميرون، ولكن هذا الميرون الذى يوضع فى الماء هو لتدشين مياه المعمودية، هذا غير سر الميرون الذى تدشن فيه الأعضاء

فى ٣٦ موضعا، لذلك مثل سيدنا له المجد قال «إذا خرج الروح النجس من إنسان يجول فى أماكن يلتمس راحة فلا يجد فيقول أرجع إلى بيتى الأول فإذا رجع ووجده فارغا مكنوسا مزينا يمضى ويأتى بسبعة أرواح أخرى» كلمة سبعة هنا ليس معناها سبعة فقط، ولكنها هنا تشير إلى عدد الكمال يعنى ممكن تشير إلى سبعة آلاف، سبعين ألف إلى آخره «فتصير أواخر ذلك الإنسان شرا من أوائله»

المهم أن المسيح قال أن الشيطان الذى خرج يرجع مرة أخرى، ففى المعمودية الكاهن بينفخ فى المعمد قبل أن ينزل جرن المعمودية ويقول اخرج أيها الروح النجس، ٣ مرات ينفخ فيه، ثم يعمده، فخوفا من أن يعود الشيطان مرة أخرى ويدخل البيت الفارغ، فبسرعة نختم على الأبواب للحراسة بالميرون المقدس حتى لا نسمح أبدا للشيطان الذى خرج أن يعود إلى الإنسان مرة أخرى، وهذا يدلكم على ترتيب الكنيسة الجميل، أن الميرون يباشر مباشرة بعد المعمودية وهذا ما قاله آباء الكنيسة مثل كيرلس الأورشليمى فى القرن الثالث عندما قال بعد خروجنا من مياه المعمودية مسحنا بالزيت المقدس، فلابد من سر المسحة.

الذى قال عنه الرسول يوحنا «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ ولستم فى حاجة أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها وهى حق وليست كذباً».

فالحرب هنا، عن ملوكنا حاربى: يعنى عن ملوكنا، رؤسائنا عموماً، هنا الملوك بكل معنى، الملك هنا بمعنى الرئيس، سواء كان رئيس جمهورية أو ملك فى الدول التى لها ملك أو حتى ممكن تنطبق على البطريرك باعتباره أنه أيضاً رئيس للشعب روحياً، عن ملوكنا حاربى يعنى اطردى، بصلواتك من جهة، وبهيبتك وروحانيتك وقدراتك كملكة السماء وملكة الأرض، حاربى عن ملوكنا وعن رؤسائنا، **وتشفعى عن سلامة العالم لأنك أنت رجاؤنا يا والدة الإله**، هل كلمة رجاؤنا هذه تتعارض مع أن الله رجاؤنا؟ أبداً .. أنت يا أخى تقول لواحد آخر أترجاك، ماذا تعنى اترجاك، هى نفس الكلمة، الأصل واحد، الرجاء والترجى واحد، فأنت تضع رجاءك فى هذا الإنسان.

فإذا قلنا أنت رجاؤنا، هذه لا تتعارض مع رجائنا الأكبر أبداً .

الخدمة الثانية:

السموات تُسبحك وبالقبطى (سى هوس إيرو ⲥⲉⲥⲱⲟⲩⲥⲉⲣⲟ) وقلنا يسبح هنا بمعنى يغنى بحمده، فالسموات تغنى بحمدك، نعم، الملاك لما جاء قال لها «أيتها الممتلئة نعمة، فالسموات تغنى بحمدك، هنا تسبحك بمعنى تغنى بحمدك وهذا أمر مشروع للإنسان هذا غير مدح الله وغير التسبيح .

أيتها الممتلئة نعمة العروس التى بلا زواج: طبعاً هذا الكلام تكلمنا فيه.

ونحن أيضاً نمجد ميلادك غير المدرك: القبطى يقول إيه (ام ابجين ميسى أن أتساجى امموف) ⲁⲙⲡⲉϫⲓⲛⲙⲙⲓⲥⲓⲛⲁⲧⲥⲁϫⲓ ⲙⲙⲟϥ هنا كلمة آت ساجى معناها الذى لا ينطق به ولا يعبر عنه، آت ساجى امموف، أقوى من كلمة غير المدرك، معناها الذى لا ينطق به والذى لا يعبر عنه، نمجد ميلادك هنا يعنى ميلادك للمسيح وليس ميلادها هى من يواقيم وحنة، لا .. نمجد ميلادك للمسيح، لأن كونها وهى عذراء تلد فهذا سر عظيم حارت فيه عقول العلماء والفلاسفة وإلى اليوم، سر لا يدرك، سر لا يمكن الإحاطة به، سر يعلو على الأفهام البشرية، سر لا يمكن للسان بشرى أن يفصح عنه أو يعبر عنه، نمجد ميلادك للمسيح، لأن من جهة ميلادها هى كان طبيعى من يواقيم وحنة، لكن عندما نقول نمجد ميلادك الذى لا ينطق به، غير معقول أن يكون ميلادها هى من يواقيم وحنة، لأنها ولدت مثل أى إنسانة تولد من أب وأم، لا يوجد عجب فى هذا، لكن موضوعنا هو ميلادها هى للسيد المسيح، ولذلك نحن نرفض تعليم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الذين يقولون عن العذراء حبل بها بلا دنس، لا .. المسيح وحده هو الذى حبل به بلا دنس، إنما العذراء حبل بها بدنس الخطيئة الأصلية وورثت الخطيئة الأصلية ولذلك قالت «تبتهج روحى بالله مخلصى»، فهى احتاجت إلى الخلاص، فالذى حبل به بلا دنس هو المسيح وحده.

يا والدة الإله تشفعى من أجل خلاص نفوسنا.

الخدمة الثالثة:

يا باب الحياة العقلى يا والدة الإله المكرمة (اتطايوت ⲉⲧⲧⲁⲓϩ- ⲟⲩⲱⲧ) .

يا باب الحياة العقلى: طبعاً الحياة العقلى خلاف الحياة المادية، الحياة العقلية هى المسيح نفسه وهى باب الحياة لأنه منها دخل المسيح إلى العالم، المسيح دخل إلى العالم كيف؟ عن طريق مريم فكانت هى الباب الذى منه دخل، ولذلك حزقيال النبى بروح النبوءة قال: «هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ولا يدخل منه إنسان». لا يوجد زواج آخر، مثل ما كان بعض الناس تفكر، «لا يدخل منه إنسان لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً». وهذا كلام نهائى وحاسم من السماء، أن العذراء كانت ومازالت وستظل إلى الأبد العذراء معرفة بالألف واللام.

خلصى الذين التجأوا إليكِ بإيمان من الشدائد: سواء أكانت شدائد روحية أو شدائد أخرى من أى نوع، خلصى الذين التجأوا إليك ولا غضاضة فى أن نلجأ إلى العذراء.

قال أيوب الصديق «إلى أى القديسين تلتفت» فممكن أن نلتجئ أيضاً إلى العذراء، إذا كان الواحد يتجه لإنسان آخر يشعر أن عنده شئ ممكن يعطيه له، فلذلك لا غضاضة أبداً أن نلجأ إلى العذراء لأن عندها إمكانات وقدرات يجب أن نستفيد منها، فاستغاثتنا بالعذراء استغاثة مشروعة، بل من الحمق ومن

الكبرياء أن الإنسان تكون عنده هذه الإمكانية ويستغنى عنها، عندما تكون أمك لها هذه المكانة كيف لا تلجأ لأمك إلا إذا كنت متكبراً متغطرساً، تظن فى نفسك أنك تقدر تكون فى غنى عن أمك، لكن القديسين المتواضعين الروحانيين الذين يدركون قيمة الروحانيات، يعرفون أن لأمنا جميعاً العذراء الطاهرة، هذه الكرامة، فينبغى أن نلجأ إليها حتى تعيننا.

لكى نمجد ميلادك الطاهر فى كل شئ هنا الميلاد الطاهر هو ميلادها للسيد المسيح وليس ميلادها هى من يواقيم وحنة. لأنها ولدت بالخطيئة الأصلية، إنما ميلادها الطاهر من كل خطيئة هو ميلادها للسيد المسيح.

من أجل خلاص نفوسنا.

ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.

فهرس الموضوعات

العذراء فى الأجبية..... ٥

وضع العذراء فى الكنيسة..... ٥

العذراء فى صلاة باكر..... ١٦

العذراء فى صلاة الساعة الثالثة..... ٢٣

العذراء فى صلاة الساعة السادسة..... ٢٦

العذراء فى صلاة الغروب..... ٣٢

العذراء فى صلاة النوم..... ٥١

العذراء فى صلاة نصف الليل ـ الخدمة الأولى..... ٥٦

العذراء فى صلاة نصف الليل ـ الخدمة الثانية..... ٦٠

العذراء فى صلاة نصف الليل ـ الخدمة الثالثة..... ٦٢